غفوة

obeikan.com

الكتاب : غفوة

المؤلف : وائل لاشين

تصميم الغلاف :

تدقيق لغوي : سيد محمود الشريف

رقم الإيداع : 2016/14322

الترقيم الدولي : 978-977-778-062-9

الطبعة الأولى : 2016

20 عمارات منتصر – الهرم - الجيزة

ت-02-35860372 011-27772007

Noon_publishing@yahoo.com

جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر

obeikan.com

غـفـوة

حيث الجحيم عرض مستمر

رواية لـ

وائل لاشين

obeikan.com

obeikan.com

لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان فِي كَبَد (سورة البلد)

***

وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (155) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (156) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (157) (سورة البقرة)

***

اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّكُمْ سَتَبْكُونَ وَتَنُوحُونَ وَالْعَالَمُ يَفْرَحُ. أَنْتُمْ سَتَحْزَنُونَ، وَلكِنَّ حُزْنَكُمْ يَتَحَوَّلُ إِلَى فَرَحٍ(إنجيل يوحنا 16: 20)

***

obeikan.com

عشْ حياتِك كفيلمٍ ولاتُحاول صُنعها

فصنّاع الأفلامِ لايستمتعون بِها

obeikan.com

obeikan.com

ياعزيزتي احذري من بقلمه يملك مغازلتك ولعنك ألف مرة ، بل وسكب حبره على حافة شوقك وإن كنتِ بخدرك ترقدين بأقاصي الكون ، تذكري ياغاليتي أن البرهان مرة والفعل مرات .

كفاكِ زهوًا ... ألا لعنة الله على المكابرين

ياعزيزتي قرأت عنكِ ذِكْرًا خلّد الله روح قائله

(ما بيننا كالعزف على الكمان حتى وان توقف ، تظل أوتاره مشدودة)

إمضـــاء

لاعنكِ

obeikan.com

obeikan.com

أنا المرحوم بكلمة رب .. أنا الطاير في عكس السرب

أنا المركون على جنب .. أنا المذنب بدون ذنب

أنا مسالم أسير حرب .. أنا التايه في 100 درب

أنا المخمور بدون شرب ..أنا الباسم ب100 كرب

أنا الفاهم ومش فاهم .. بحبك لو في يوم غانم

بقلبي وروحي أنا مساهم .. وعمري في يوم ماكون ظالم

ده كون الكون ماهوش مسكون .. ومش شايف غيرك في الكون

لاعمري هكون أنا المجنون .. بحبك وبردو عمري ماخون

لا نا عارف في يوم أقرب .. ولاعارف في يوم أهرب

ولا ناوي بغيرك أجرب

أنا الماضي ومش راضي أكون في الحب يوم قاضي

obeikan.com

obeikan.com

(الفصل الأول)

كان حفلًا بهيجًا بما تحمله الكلمة من معانٍ ، لكن هناك أمرًا ليس على مايرام ، شعرت به الأم منذ بدء الاحتفال ، لم تكن الابنة فى اليوم الأول من عامها الخامس عشر تحمل نظرتها المألوفة بل كانت تحمل نظرة أخرى ، لم يقرأها أحد سوى أمها ، نظرة خلت من السعادة ، وجه مبتسم هو أقرب إلى القناع ، قناع ادعائى يحمل خلفه وجه طفلة حزينة ، طفلة تائهة لا تدرى ماذا تريد وماذا تفعل ؟! فى خضم التهانى والقبلات الحارة التى أمطرها المدعوون على خديها ، شعرت حبيبة بغصة فى حلقها ، انسحبت فى هدوء متسللة إلى غرفتها ، أغلقت بابها بإحكام ثم فتحت خزانة الملابس لتخرج مصحفًا وتسحب الصورة المحشورة بين دفتيه ، تنظر إليها مليًا وهى تحاول كبح جماح مشاعرها التى تعصف بقلبها ووجدانها ، تفلت منها دمعة لتسقط على الصورة وتنساب ببطء حتى تصل لوجه أبيها المبتسم فى حبور ، يُطرق الباب فتسارع بمسح ماء وجهها محاولة إخفاء حشرجة صوتها وهى تقول

- أيوة

جاء صوت أمها من الخارج

- ممكن أدخل ؟

- اتفضلى يا ماما

تدير مقبض الباب وتدخل نصف مبتسمة

- سايبة ضيوفك برة وبتعملى أيه ياحبيبتى ؟
- أبدًا .. ولا حاجة

رأت المصحف بيدها ففهمت على فورها ، هى اعتادت على وضع صورة أبيها بين دفتى مصحف حتى إذا ما تذكرته واشتاقت لرؤيته ، هرعت لتطالع صورته وتقرأ ماتيسر من القرآن إهداء لروحه

احتضنتها وهى تربت على كتفها فى شفقة ، هى تعلم مدى تعلقها بأبيها وكم كانت تحبه ، التقطت المصحف من يديها و أعادته لمكانه ثم ضمت وجهها بكفيها مبتسمة

- يلا يا أستاذة ، ماينفعش تسيبى صحابك وحبايبك أكتر من كده
- ليه ؟
- ليه أيه ؟!!
- ليه عملتى كده ؟

أشاحت بوجهها جانبًا لتزفر بحرارة قبل أن تجيب

- نأجل الكلام بعد الحفلة

عادا سويًا للجمع مرة أخرى ، انصهرت حبيبة بين أصدقائها بينما تاهت الأم بين أفكارها ، كيف ستواجه ابنتها ؟

ماذا يمكن أن يقال فى مثل تلك المواقف ؟

هل تخبرها بالحقيقة كاملة أم تكتفى بما يناسب فئتها العمرية الحالية؟!

كم تمنت ألا ينتهى الحفل قط ، أن يمتد حتى نهاية العمر

لكنه انتهى وانصرف الجمع ومكثت فى غرفتها تنتظر تنفيذ وعد أمها ، وعندما طال انتظارها قررت أن تذهب إليها وتذكرها بما قالته ، وما إن فتحت باب غرفتها حتى وجدت أمها تقف أمامها متصلبة وهى تمسك بأجندة زرقاء اللون وقد أدمى عيناها البكاء ، تراجعت لتفسح لها المجال ، وما إن دلفت حتى بادرتها متسائلة

- أيه ده يا ماما ؟!!

- دى أجندة باباكي، اقرى اللى فيها بس قبل ما تخديها، لازم تبقى عارفة ومتأكده كويس أوى ... أنه كان بيحبك ، كان بيحبك أوى

انتزعت الأجندة من يدها وهرعت لتجلس على كرسى المكتب ، ثم أضاءت الأباجورة وشرعت تلتهم بعينيها الحروف والكلمات المدونة بتلك الأجندة .

***

إليكِ وحدك .... أكتب

عللكِ تفتخرِى بي يومًا ما

***

أسامة المصري صلاح الدين هذا اسمى، اثنان وأربعون عامًا هذا ما عشته حتى لحظة كتابة تلك السطور، أبلغ من الطول مائة وثمانون سنتيمترًا، عريض المنكبين أبيض البشرة، أسود العينين، أعمل ضابطًا برتبة مقدم بإحدى الجهات الأمنية شديدة الحساسية والخطورة ..

أقدم لكِ نفسي وأنتِ بي أعلم

بالرغم من كوني قليل الكلام ، إلا أن رغبة عظيمة في إفراغ ضجيج رأسي في صفحات بيضاء تفجرت داخلي دون خجل أو تردد ، فما أجرأ كلماتنا المكتوبة ، وما أخجل منطوقها

لماذا أكتب ؟ أو لماذا قررت أن أكتب ؟

لا أعلم بالتحديد سبب ذلك ، ولكن ربما وددت أن أخبرك بما لم أستطع قوله لك وجهًا لوجه أكتب ولا أعلم إن كان ما أكتبه ذا جدوى أم لا ..

لا أعلم أن كان سيصلك يومًا أم لا ..

أكتب لا (كيف) لديّ ولا (لما)

صدقًا لا أعلم

لكن المؤكد الآن

أنى أكتب لكى لا أجن ...

طالما تطالع عيناكِ كلماتي تلك ، فهذا يعني أني قد واراني تراب قبري ، كيف ومتى ؟!

هذا ما أجهله تمامًا ، وأيضا لا أعلم إن كان عمرك وقت قراءتها يسمح لكِ بإدراكها أم لا !

متى بدأ كل هذا ؟ لا أدرى تحديدًا .. كل ما أتذكره صباح ذلك اليوم القاسى ، حينما رن هاتفى المحمول ، تجاهلته عدة مرات ، لكنه كان يملك من الإصرار ما يكفى لانتزاعى من ملكوتى المقدس ، النوم ،

النوم هو موت مؤقت وكم كنت أعشق الموت ...

تطارد كل منا رغبة فى الانتحار تتفاوت قوتها من شخص لآخر ، بالتأكيد هى رغبة محرمة لكن من رحمة القدير أنه أحلها لنا كل يوم لبضع ساعات .

أعتدل فى فراشى ببطء يعتصرنى ألم برأسى يكاد أن يقتلنى ، أبحث عن الهاتف لأخرس صراخه المزعج ، أكتشف أنى مازلت أرتدى ملابس العمل ، تبًا لهذا الهاتف اللعين ، ألا يصمت قليلًا !!

أتحسس ملابسى لأجده بجيب البنطال الأيمن ، أُخرجه وبنصف عين أتبين المتصل ، إنه هو ، وهو أمر لو تعلمين عظيم ، لأول مرة يهاتفنى مباشرة، كان من المعتاد أن يكلف أحدهم بالاتصال بمن يريد وكفى ، لكنه تلك المرة يتصل مباشرة دون وسيط ، أجبت والتساؤلات تفعم رأسى ، طلب الحضور فورًا دون إبداء أسباب ، تخلصت من ملابسى ثم انزلقت أسفل الدش ، يبلل البخار الساخن زجاج المرآة ، روحى مشوهة كانعكاس صورتى فيها ، انتهيت من الاستحمام ثم ارتشف قهوتى على عجل ، أدخل غرفة " علي" ابنى ذو الثلاثة عشر عامًا لأجد فراشه مرتب كعادته وقد غادر إلى مدرسته ...

ثم أغادر مسرعًا .

***

أستقل سيارتى وأتوقف عند أحد الأكشاك لأبتاع علبة سجائرى المفضلة ، دون كلمة ، أشير على ما أريد ، أنقده بعض الأوراق المالية وأنصرف بهدوء ، أدير مؤشر الراديو وأنا أخرج سيجارة لأدسها فى فمى وأشعلها ، أسحب نفسًا عميقًا ؛ لتتوهج بقوة قبل أن أزفر دخانها فيصطدم بزجاج السيارة الأمامى قبل أن يتلاشى نهائيًا .

أشق زحام الطريق بملل ، تتكدس السيارات والحافلات أمامى ، أطالع أرقام اللوحات محاولًا تكوين كلمات مفيدة ، أراقب الوجوه بلا مبالاة ، ذلك العجوز الذى يحاول جاهدًا عبور الطريق وهو يلعن يوم مولده ، شاب يجلس فى إحدى الحافلات وينظر من خلال نافذتها وهو يرى عمره يمر ببطء أمامه كتلك السيارات الزاحفة ، أرى أحدهم يغادر سيارته ليقف بجانبها يستطلع سبب التكدس ، أداعب هاتفى بحثًا عن لاشىء ، تنفرج الأزمة المرورية رويدًا رويدًا ، أصل لأحد المولات الكبرى بالتجمع الخامس ، أعبر بوابة الجراج الضخم بعد عملية تفتيش مُرهِقة ، أصف السيارة ثم أغادرها لاجتاز بوابة الكترونية محاطة بثلاث رجال أمن أستقل أحد المصاعد للدور السابع ، أقطع الرواق المكتظ بالمتاجر ذات الواجهات البراقة ، أتابع وجوه البشر الهائمة حتى أصل لإحدى الممرات الجانبية ، أدفع أحد الأبواب الخشبية لأعبر من خلالها قبل أن يرتد بفعل المشد المعدنى لينغلق مرة أخرى ، أقف أمام باب معدنى آخر أبرز هويتى أمام عدسة الكاميرا المثبتة يمينًا ، ينفرج الباب المعدنى مصدرًا صوت مكتوم ، كاشفًا عن ثلاث رجال صامتين ، يقترب منى أحدهم بملامح جادة ودون كلمة ، يمسح جسدى بأحد الأجهزة الالكترونية قبل أن ينظر إلى فى ثبات مشيرًا إلى جانب سترتى الأيسر ، أمد يدى محررًا مسدسى المثبت أسفل ذراعى ، يتقدم الرجل ويشير لأتبعه حتى نصل أمام أحد الأبواب ، يضغط على زر أحمر مستدير ، ثلاث ثوانى قبل أن يفتح

الباب، نعبر من خلاله ثلاثة أبواب معدنية أخرى ، حتى أصل أخيرًا لمكتبه ، أقف أمامه فى ثبات ، يشير إلى بالجلوس ، أستقر على ذلك الكرسى الجلدي الوثير فى انتظار نطقه لأول كلمة

صمت مطبق

وكأنه يجلس وحده

وكأنى غير موجود

أمسكَ بأحد التقارير وشرع فى قراءته ، دس سيجارته الضخمة وهو يلتهمها بين شفتيه بنهم ، ثم زفر دخانها ببطء ، مرت خمس دقائق كاملة قبل أن يرفع رأسه وينظر ،ودون كلمة

مد يده بعدة صور فوتوغرافية ، التقطها لأجد أولها صورة لشخص ملقى أرضًا غارقًا فى بركة دماء قانية ، وقد طعن في صدره بسكين حاد محفور عليه جملة

(حرر قيد الفراشة)

قلبت الصور الباقية لأجدها جميعها لضحايا آخرين تم قتلهم بنفس الطريقة والأسلوب ، مشهد القتل مشهد مكرر ومألوف لمن هو مثلي ، بحكم عملي ، التفت إليه وقبل أن أتفوه بحرف أجابنى فى هدوء

- دي جرايم قتل حصلت خلال الشهرين اللي فاتوا بالطريقة اللي انت شايفها قدامك دي ،جاتلنا اوامر بالتحقيق فيها والقبض على المسئول عنها خلال شهر من دلوقتي ، وطبعا انت عارف اننا داخلين على تغييرات وزارية

سكت هنيهة قبل أن يستطرد

- مطلوب منك تستلم القضية دى وتحقق فيها ، واحنا بعتنا لكل الجهات التابعة لينا بهويتك ومنحناك جميع التفويضات اللى ممكن تساعدك فى مهمتك .. اتفضل

جمعت محتويات الملف وهممت بالمغادرة لولا أن استوقفني قائلًا

- أسامة ... مش عايز (بني مزار) تانية

***

مذبحة بني مزار ، 29 ديسمبر 2005 بالمنيا ، الجريمة البشعة التي راح ضحيتها عشرة أفراد لثلاث أسر مختلفة على يد سفاح لم يكتفي بقتلهم فقط بل قام بالتمثيل بجثثهم وبقر بطونهم وتشويه أعضائهم التناسلية ، تم القبض على المشتبه فيه وقتها وبعد عدة جلسات ومداولات قضائية وثورة رأي عام لم تشهدها مصر من قبل تم الإفراج عن المتهم لتضارب الأقوال وعدم كفاية الأدلة...

***

- خبير علم الجريمة يعتمد فى تحليله على ثلاث عوامل أساسية ، أقوال الشهود ، دليل مادى ، أو اعتراف صريح من القاتل

هكذا تحدثت بهدوء وصوت خفيض الدكتورة دارين ، الحاصلة على درجة الماجيستير فى علم الجريمة من جامعة ميريلاند بالولايات المتحدة الأمريكية

فى محاضرة عن(تحليل الجرائم المتسلسلة) تلقيها على مجموعة من خبراء علم الجريمة ، يجلس الحاضرون فى صمت مطبق ، وعيون نهمة ، وكأن على رؤوسهم الطير ، تقف فى قاعة ضخمة مولية ظهرها لستار أبيض كبير ، ينعكس عليه ضوء البروجيكتور عارضًا مادة فيلمية عن إحدى الجرائم

- خبير علم الجريمة عند تعامله مع أي حالة ، تظهر أمامه عدة تساؤلات تقوده فيما بعد إلى تحديد بعض النتائج التى تكشف عن هوية القاتل المتسلسل ، و على سبيل المثال

كيف تعامل المجرم مع الضحية ؟

هل ترك المعتدي أى دليل خلفه ؟

هل أخذ أى شيء معه ؟

وتركيز الخبير الأكبر ينصب فى مكان الجريمة

التفتت إلى الشاشة البيضاء لتوضح بعض النقاط الهامة حيث تعرض الشاشة صورة لأحد الأبواب المهشمة بعنف ، لتستطرد

- على سبيل المثال تلك الجريمة التى نشاهدها على الشاشة ، يتضح من رؤية هذا المزلاج المحطم بقوة ،إن من قام بتلك الجريمة هو رجل ،

وبأغلب الظن يعانى من جنون الارتياب ، ومن يعانى من جنون الارتياب عادة يكون انيق الى حد الهوس ، بقع الدماء المتناثرة فى عدة أماكن تشير إلى مقاومة و إن كانت ضعيفة بعض الشىء من الضحية ، غالبًا ما يترك المجرم أدلة خلفه ، والأدلة لا تكون مادية فقط ، بل أحيانا تكون نفسية أيضا ، بدراسة نفسية هذا القاتل يتضح لنا أنه يمتلك كل المؤشرات الكلاسيكية لأى قاتل محترف وهى المزاج السىء والفرصة المتاحة ، وقد .....

قطع حديثها صوت طرق أحدهم بهدوء على باب القاعة ، بجدية صارمة سمحت له بالدخول ، لتفاجأ بأحد الضباط يستأذنها لإبلاغها أمرًا ما ، بتحفز تحركت لتغادر القاعة فكم كان يغضبها أن يقطع أحدهم استرسالها أثناء إلقاء المحاضرة

- خير يا فندم !

قالتها بحزم ليجيبها الضابط بهدوء

- فى واحد طالب يقابل حضرتك
- دلوقتى !!
- أيوة يا فندم و الموضوع لايحتمل التأجيل ، اتفضلى معايا

ثم تحرك دون انتظار رد ، لتتبعه فى دهشة وتساؤل عن كنه ذلك الشخص

***

وما إن دلفت المكتب حتى وجدتنى فى انتظارها ، كنت أود الابتسام وشرح سبب تلك المقابلة بهدوء ، ولكنى للأسف أكره التعامل مع النساء وخاصة فى العمل ، باختصار قدمت نفسى وبإيجاز سألتنى

- أيه المطلوب منى ؟
- فى قضية محتاجين مساعدة حضرتك فيها
- قضية أيه ؟
- هو أكيد مش هينفع شرح هنا ، لكن ده رقمى ممكن بعد ماتخلصى محاضرتك تكلمينى

قلتها وخططت لها الرقم على ورقة مكتب مربعة بيضاء ، ثم ناولتها إياها وانصرفت

***

بمجرد أن دلفت الى المنزل و القيت بالملف على الأريكة ،وجدت (علي) يجلس ممسكًا بهاتفه وهو يجري محادثة كتابية ما ، ما إن راني حتى هب واقفًا مؤديًا التحية العسكرية وهو يبتسم ، احتضنته قائلًا

- ازيك ياحضرة الظابط ؟
- كله تمام يافندم
- واخبار المذاكرة أيه ؟

ارتبك قليلًا

- أنا مابسبش الكتاب من ايدي زي مانت عارف
- ايوة فعلا بامارة الفيس اللي انت ماسكة في ايدك ليل نهار

باندهاش مصطنع

- ده أنا لسه ماسك الموبيل حالًا
- أيوة انت هتقولي !! المهم ، اتغديت ؟
- آه الحمد لله أم جلمبو محضرالك الغدا في المطبخ
- يابني احترم نفسك ماتقولش على رتيبة كده ، دي هي اللي شايلة البيت
- يعني هي شايلاه ببلاش ! ماهي بتاخد قد كده أول كل شهر
- طب بطل لماضة وادخل كمل مذاكرتك
- حاضر يا قائد

ثم في ترقب أردف

- ماما وحبيبة كانوا لسة عندي
- وعاملين أيه ؟
- بيسلموا عليك
- ياراجل؟! طب روح شوف مذاكرتك

تخلصت من ملابسى وانزلقت أسفل الدش ؛ لينهال الماء الدافئ على أوصالى فينعشها ، أنهيت استحمامى و شرعت فى تحضير قهوتي المفضلة ، ذلك المشروب السحرى الداكن ، ثم جلست على المكتب أرتشف في نهم بينما عيناي تداعبان الملف أمامي ، أمسكت بريموت التلفاز ثم ضغطت عدة أزرار لأستقر على قناتى المفضلة ، قناة كارتون نيتورك ، كتمت صوت التلفاز ثم شرعت أتصفح الملف

***

الملف متخم بتقارير وصور ، وكعادتى دائمًا فى العمل عند استلام قضية جديدة ، وقبل أن أخطو خطوة واحدة ، لا أفعل سوى احتساء القهوة والتدخين والإمساك بورقة بيضاء لتدوين ملاحظاتى

لا وجود لعلاقة أو صلة مشتركة بين جميع الضحايا، وظائف مختلفة، أعمار مختلفة، مستوى اقتصادى مختلف وكأنهم اتفقوا جميعًا على ألا يتفقوا .

الشىء الوحيد الثابت هو أسلوب القاتل فى تنفيذ الجرائم ، طعنة فى الصدر بخنجر محفور عليه جملة (حرر قيد الفراشة)

وجدتنى أدور بسن القلم حولها وكأنه يتحرك وحده بمطلق إرادته الحرة فى محاولة مجهضة لاستخراج معنى ، رفعت عينى تجاه الشاشة لأجد الفأر (توم) يحاول الهروب من بطش القط (جيري) ، الأخير يمسك بمطرقة محاولًا الفتك به و... اهتز هاتفى المحمول فوق المكتب الخشبى مصدرًا ذلك الصوت المكتوم ، أجبت لأجد الدكتورة دارين تطلب مقابلتى ، تركت لها حرية اختيار المكان ، فاختارت ، على أن تكون المقابلة بعد ساعة ونصف من الآن .

***

فى الميعاد المحدد صففت السيارة بالقرب من سيلنترو بالمعادى ، وبينما أعبر الطريق لمحتها من خلال الزجاج تجلس أمام طاولة خشبية تمسك بيدها اليمنى قدحًا تتصاعد منه الأبخرة ، عيناها مسلطة على هاتفها الذكى بينما أصابع يسراها تنتقل بخفة على شاشتها تفتح نوافذ وتغلق أخرى ..

منذ أمد بعيد وفى خضم مسئوليات عملى العصيبة كنت قد نسيت مثل تلك الأماكن التى تليق بالأحبة والأصدقاء ، ما عدت أذكر آخر مرة جلست بمكان كهذا ، تسرى فيه الموسيقى الهادئة بين جنباته بينما يتجمع عدة أشخاص حول كل طاولة لتبادل الهمس والنظرات الخاطفة ، وجدتنى بلا تردد أقبل اللقاء فى هذا المكان لسببين ، أولهما ، أنها سيدة والبروتوكول يحتم منحها حق الاختيار ، أما ثانيهما وهو الأهم ، أن مقر عملى يندرج تحت بند سرى للغاية لا يصله سوى من يعمل بداخله .

تقدمت لاقترب منها فى هدوء ، وبعد تبادل التحيات ، دعتنى للجلوس ، جلست أمامها لتبدأ هى الحديث وهى تشير للنادل

- تحب تشرب أيه ؟

نظرت للنادل وهو يقترب مبتسمًا

- واحد قهوة لو سمحت

أومأ برأسه ثم عاد من حيث أتى

- حضرتك شرفتنى النهاردة بالمعهد وطلبت المساعدة فى قضية ، ممكن أعرف التفاصيل ؟

ناولتها ملف القضية لتفتحه بهدوء وتغرق داخل تفاصيله بينما وجدت عيناى تتفحصها رغمًا عنى ، هى سيدة تبدو فى أواخر الثلاثينيات ، عينان عسليتان وأنف طول دقيق ، شعر كستنائى ناعم لم تتوقف لحظة عن فرك خصلاته بأصابعها ، استغرقت ما يقرب من العشرين دقيقة تطالع محتويات

الملف ، أنهيت قهوتي وانتظرت قليلًا حتى أغلقت الملف ونظرت إلى فى ثبات لثوانى معدودة

- أنا جعانة

- نعم !

- جعانة !

- إحم ، طب بالنسبة للقضية دى تفتكرى ممكن نبدأ منين بالظبط ؟

- ده " serial killer " وواضح جدًا من أسلوبه فى كل جريمة أنه بيحاول يلفت الانتباه واختياره لضحاياه مش عشوائى ، ده مدروس ومدروس كويس كمان

لم تهضم أذنى كلامها المنمق ، شعرت أنها تحاول جاهدة الظهور بمظهر المحلل المحترف ، القاعدة معروفة وعن تجربة ، لكى تبدو محترفًا القى كلماتك بسرعة ودون اكتراث ويا حبذا لو أقحمت لفظ أجنبى بينها ، هذا يجعل الأمر أكثر احترافية ، ولا تنس أن تنتقى كلمات شائعة تليق بمعظم المواقف المشابهة ، افعل ما سبق وانتظر انبهار المستمع ، لا أعلم لما وقع اختيار الإدارة عليها تحديدًا دون غيرها !!

لكني لست من مطلقى الأحكام السريعة ، سأنتظر فور أول اختبار عملى حقيقى وسأعلن حكمى النهائى على خبرتها من عدمه .. سألتها

- بس كده ؟ تحليلك خلص !

أجابتنى وهى تعيد خصلة من شعرها لتسكنها خلف أذنها

- ده تحليل مبدأى ، التقارير والصور مهمين طبعًا ، بس الأهم منهم مسرح الجريمة

رشفت ريقًا من مشروبها قبل أن تكمل

- محتاجه ازور مسرح جريمة واحد على الأقل علشان أصدر تحليل نهائى
- بسيطة ، بكرة نروح نعاين

أطلق هاتفها رنة رقيقة لتمسك به ، تطالعه قبل أن تهب مسرعه تجمع أوراق الملف وتضمه الى صدرها وبابتسامة

- معلش مضطرة امشى دلوقتى ، هاخد الملف أدرسه فى البيت وبكرة نتكلم
- طيب أنا ممكن أوصلك
- لا مفيش داعى ، معايا عربيتى

ثم انصرفت

عدت إلى المنزل لأجد رتيبة الخادمة وقد أعدت العشاء ، بينما علي مستغرق فى نومه بحجرته ، أبدلت ملابسى ثم جلست على الطاولة لاتناول الطعام فى نهم وأنا أشاهد فيلما كارتونيًا آخر لتوم وجيرى ، ثم دخنت سيجارتى الأخيرة - لليوم بالطبع - قبل أن أندس أسفل الغطاء وأغط فى نوم عميييق

***

فى تمام الثانية صباحًا أستيقظت على صوت حفيف الأشجار والرياح تعصف بها فى الخارج ، اتكأت على راحتى ونهضت لأتوجه إلى دورة المياه ، أفرغت مثانتى المحتقنة ثم هممت بالعودة إلى غرفتى مرة أخرى ، أثناء عبور صالة المنزل لمحت ظلًا يتحرك ، أجفلت لثوانى ثم رأيته ..

رجل يجلس على أحد المقاعد ، بينما تجلس بجواره سيده عجوز ، تشق أخاديد تجاعيد وجهها المضئ هو ينظر إلى فى ثبات بينما الأخرى تنظر إلى نقطة ما ، اتجهت ببصرى لأرى ما تصوب إليه نظرها ، فلم أجد شيئا ، أدرت رأسي مرة أخرى فلم أجدهما ، اختفيا دون أثر ، بيد مرتجفة ضغطت المقبس ليضئ المكان بأكمله ، حركت عينى يمنة ويسرة كالفنار بين أرجاء المكان بحثًا عنهما ، فلم أجدهما ، تعوذت وأنا أطلق زفيرًا طال حبسه ، ثم اتجهت الى غرفة " علي" لأطمئن عليه ، فوجدته يغط فى نوم عميق والتلفاز مازال يعمل، أغلقته ثم اتجهت لغرفتى وبمجرد دخولى اهتز هاتفى بصوت مكتوم ، أجبت لأجد أحدهم يطالبنى بالحضور ، حيث وقعت جريمة قتل أخرى ، أملانى العنوان وما أن انهيت المكالمة حتى اتصلت بالدكتورة دارين ، اعتذرت عن الاتصال فى ذلك الوقت المتأخر ، لكنها اخبرتنى أنه لا بأس ، فما زالت مستيقظة ، أخبرتها بالحادث وطالبتها بالحضور على العنوان ، فلم تبدى اعتراضا، ارتديت ملابسى وغادرت متجهًا إلى المعادي

***

وصلت إلى مكان الحادث، أحد شوارع المعادي الهادئة تصطف الأشجار العالية بجانبيه لتلتقى بأغصانها الوارفة فى شكل يشبه المظلة الطبيعية فوق الطريق ، بينما اكتظ نهر الطريق بخلية نحل بشرية من رجال الأسعاف والشرطة وأفراد البحث الجنائى

صففت سيارتى بمنتصف الطريق ثم ارتجلت فى محاولة لاختراق ذلك الحشد، أضواء سيارات الإسعاف والشرطة أحالت الشارع إلى كرنفال ضوئى.

تشكل مربع أمنى يفصله شريط أصفر يطوق مسرح الجريمة يقف خارجه بعض الساهرين من البشر بين نظرات الشفقة والذعر وهمسات الاستغفار والحوقلة، مسرح الجريمة في مهنتنا هو قدس الأقداس، هو مستودع الأسرار، و بمثابة الشاهد الصامت الذي إذا أحسن المحقق استدراجه ربح كل شيء، وبينما أحاول اختراق السياج الأمنى، أشار أحد رجال الشرطة لمنعي من الاقتراب أكثر ، أبرزت له تحقيق الهوية فهب مؤديًا التحية العسكرية وأفسح لى المجال .

وصلت لبؤرة الأحداث ..

محفة نقل الموتى مُسجى عليها جسد بساتر قماشي أبيض تشبع بحمرة دمٍ قاني ، انحنيت لأرتكز على فخذ رجلي الأيسر وبيمناي رفعت الغطاء قليلًا لأرى شاب يبدو فى أواخر العشرينات وقد سكن صدره سكينًا مزخرفًا محفورًا عليه : " حرر قيد الفراشة "

رؤية آثار القتل أكثر رعبًا من عملية القتل ذاتها

قاطعنى نداء أحدهم

- أسامة باشا !

التففت لأجد دارين قد وصلت وهى تشير إلى من خلف الشريط الأصفر، أشرت بالسماح لها بالعبور وما إن اقتربت حتى أخرجت كاميرا سونى شرعت فى التقاط عدة صور ، بعد أن انتهت تركت الكاميرا تتدلى فى عنقها

لتشرع فى تدوين بعض الملاحظات على هاتفها الذكى باستخدام قلم خاص به، تركتها تمارس عملها فى حين دار نقاش جانبى بينى وبين ضابط الشرطة المسئول ، أخبرنى أنهم تلقوا بلاغًا تليفونيًا من أحد المواطنين يفيد بأنه أثناء مروره وفى طريق عودته إلى منزله بعد يوم عمل شاق ، وجد هذا الشاب ملقى بجانب أحد الأشجار مطعون بسكين ، استغاث ببعض المارة الذين أصابهم الهلع ، وسرعان ما حضرت سيارات الشرطة والأسعاف لتحيل ظلمة الشارع إلى نهار...

لمحتُ دارين وهى تقترب ، فطالبته بإفادتى بأى تطورات جديده ، ثم رافقتها إلى سيارتها ، فتحت باب السيارة ثم أستندت على سقفها وهى تقلب صور الكاميرا عدة مرات عاقدة حاجبيها فى تفكير عميق ، طالبتنى بإرسال تقرير البحث الجنائى بمجرد الانتهاء منه ، ثم أمسكت برأسها وقد بدا عليها الإرهاق ، اعتذرت شاعرًا بالشفقة

- معلش نزلتك فى وقت متأخر ، واضح أنك مرهقة أوى
- منمتش من 48 ساعة ، بس خلاص اتعودت
- تحبى أوصلك بعربيتك ؟

ابتسمت بإنهاك

- لا مفيش داعى ، أنا كويسة ، هكلمك بكرة علشان أعرف أيه الجديد، سلام

***

صباح اليوم التالى

التقيت دارين أسفل البناية التى كان يقيم بها القتيل ، وفى صالة شقة والده جلسنا مع أخته " إسراء " شابة فى مقتبل العمر ، ترتدى السواد ، ذات جسد ضئيل وبعينين أدماهما البكاء تحدثت باستفاضة عن أخيها القتيل ..

خالد ابن الخمسة والعشرين عامًا ، موظف يعمل بأحد الهيبرات الشهيرة بالمعادى ، كاشير ، لا تتوقف أصابعه لحظة عن الضغط على أزرار الحاسوب ، ولسانه عن المجاملات وعبارات الشكر والترحيب ، متحدث لبق ، يمسك بيده الآلاف من الجنيهات يوميًا ؛ ليتحصل على فتاتها أول كل شهر ، لم يجد مهنة أخرى تقبله سوى تلك ، والتى قرأ عنها يومًا بأحد الجرائد اليومية ، لم يتردد لحظة ، تقدم للوظيفة راجيًا من الله أن ينال تلك الفرصة البائسة ، أغمض عينيه عن أحلام شبابه المجهضة ، تحطم الحلم تلو الآخر تحت عجلات قطار الواقع

حلم الوظيفة المرموقة

حلم عش الزوجية السعيد

حلم الأبناء البارين

لم يتبق لديه سوى حلم واحد ، حلم أن يظل على قيد الحياة ، استطاع بالكاد أن يدّخر مبلغًا ليدفعه كمقدم لجهاز لوحى صغير من بين تلك الأجهزة الراكدة التى لا تغادر الرفوف سوى لإزالة الأتربة من عليها وإعادتها مرة أخرى ، ترائى لإدارة المكان عرضها للبيع بنظام التقسيط للعاملين ، على

أن يتم استقطاع مبلغ رمزى كل شهر من الراتب ، انتقل من واقعه الأليم إلى عالم آخر افتراضى ، أقل قسوة ، عالم الإنترنت ، يحادث هذا ويلاطف تلك .

سألتها عن وجود مشاكل مؤخرًا أو عداوات شخصية ، أجابت بأنه لم يكن يومًا هذا الشخص ، كان انطوائيًا كتومًا ، لا يتدخل فيما لا يعنيه ، حتى إنه لم يكن له أصدقاء على أرض الواقع سوى أحد زملائه يدعى حسام ، طلبت دارين منها جهاز خالد اللوحى ، على أن تعيده مرة أخرى بعد انتهاء التحقيقات قدمنا تعازينا ثم انصرفنا مغادرين .

وأمام سيارة دارين وقفت تداعب هاتفها كعادتها لتسألنى دون أن ترفع عينيها

- المفترض نعمل أيه دلوقتى ؟
- هنوصل لمكان شغله طبعًا ، يمكن نقدر نوصل لحاجة

مطت شفتيها وكانها توقعت ذلك ، تركت سيارتها لتصطحبنى بسيارتى وفى طريقنا للمعادى لم تتوقف لحظة عن مضاجعة هاتفها ، تجرى محادثات وتقرأ مقالات وتطالع أخبار ، يتخلل كل ما سبق بعض الهمهمات الخافتة ، منها امتعاضى ومنها ماهو أقرب للضحك المكتوم ، أطلق الهاتف رنة متقطعة، رفعت رأسها تبحث عن شىء ما ثم تسائلت بضيق

- هو مفيش شاحن موبيل فى العربية دى ؟
- لا للأسف ، هو الشحن خلص ؟

بامتعاض

- لأ بسأل رخامة

- .....
- ياعم فكّها شوية ، مالك كده قافش ؟
- قافش ؟!
- بص .. أنا عارفة إن شغلكم صعب وإنكم دايمًا محطوطين تحت ضغط ، لكن لازم تعيش حياتك
- ونتى بقى عايشة حياتك ؟
- لأ ، بس بحاول .. ممكن أسألك سؤال ؟
- لأ
- أنت متجوز ؟!
- كنت
- معذورة طبعًا
- اشمعنى ؟
- يعنى ،التعامل مع راجل بالتكوين والكاريكتر ده صعب
- ده على أساس إن التعامل معاكم سهل ؟!

ضحكت مجيبة

- الصراحة ؟ لأ ، أنا عارفة إن المرأة كائن معقد ، بس نصيحة منى ماتحاولش تفهمها .. حسّها
- أنا لا عايز أفهمها ولا أحسّها

قطبت حاجبيها ممتعضة

- واضح إن فيه رجالة كمان معقدين مش احنا بس
- .....

obeikan.com

- عندك ولاد ؟
- علي و حبيبة
- سو كيوت ، طب أيه المشكله ؟
- حد قالك إن فيه مشكله ؟!
- ده فيه مشاكل مش مشكلة واحدة بس
- وعرفتى منين إن فيه مشاكل ؟
- عيب على فكرة لما تسأل السؤال ده ، ده من صميم شغلى
- مممم ، أنتِ بتمارسى عليا شغلك بقى

ضيقت عينيها بإمتعاض

- مش بالظبط ، بس تقدر تقول كده إن الطبع بيغلب التطبع
- طب أنزل اجيبلك شاحن من أى محل فى طريقنا ، واضح إن موضوع الشحن ده هايجى على دماغى

بضيق

- أنا بعتذر لو كنت ضايقتك بكلامى ، أنا بس كنت بحاول أخرجك من الجو ده

ثم أشاحت بوجهها إلى الجانب الآخر ، ترقب الطريق من خلال زجاج السيارة فى صمت ، ألمح عيناها فى انعكاس الزجاج وقد تدلت جَديلة من شعرها على وجهها الطفولى ، وبعد دقائق من الصمت المطبق سألتها

- أيه سر تعلقك بالفيس أوى كده ؟ أنا شايفه موضة مالهاش لازمة
- إشمعنى ؟!

- يعنى بيضيع الوقت وبيزود ...

قاطعتنى مردفة

- الفجوة الاجتماعية والتفكك الأسرى ... وبلا بلا بلا

أمسكت عن الكلام لبرهه قبل أن تستطرد

- أنا بستخدم الفيس بوك فى شغلى ، مش عاملاه علشان أدردش و أصاحب ناس معرفهمش ، عايزة أقولك حاجة .. أنا اكتشفت إن الفيس أو مواقع التواصل الاجتماعى ، عمومًا على قد ما فيها كدب وغش كتير ، لكن فيها بردو جهاز كشف شخصية صغير كده

- مش فاهم

استعادت حماسها بغتة مرة أخرى وهى تمارس وظيفتها كمحاضرة

- هفهمك ، فيه ناس كتير بنقابلهم يوميًا وبنتعامل معاهم وبنحبهم لكن بمجرد ما نتواصل معاهم من خلال الإنترنت بنكتشف جوانب كتير من شخصيتهم احنا مكناش شايفنها

- يا سلام ؟! مش مقتنع الصراحة بكلامك ده

- طب اركن على جنب

- نعم ؟!

ضحكت بميوعة موضحة

- احنا وصلنا

أدركت أننا بالفعل قد وصلنا لوجهتنا ، النقاش ألهانى عن ملاحظة ذلك ، اخترقت موقف السيارات المزدحم كخلية النحل ، دسست السيارة بين حاجزين كتب عليهما " للعاملين فقط " مما أثار دهشتها

- ده مكان مخصص للعاملين بس !!
- هو أنا لسه هدور على مكان ؟!

ارتجلت من السيارة لتتبعنى وحاجبيها يكاد أن يلتصقا بمنبت شعرها

***

أملك كباقي رجال تلك الإدارة السرية التى أعمل بها ، هيئة توحى بالاستثنائية ، توفر عناء الجدال والمناقشات التى لا طائل منها ، لذلك بمجرد دخولى مكتب إدارة الهايبر التسويقى ، استقبلنى رجل يرتدى حلة داكنة معلق على صدره بطاقة تعريف كتب عليها " رشوان حفظى " مسئول إدارى ، صافحنى بابتسامة متوترة ، سألته عن خالد تحدث باقتضاب أو بالقليل الذى يعرفه ، طالبت مقابلة (حسام) صديقه المقرب كما أخبرتنا أخته ، أمسك بهاتف مكتبه ، سأل أحدهم عنه ، ثم وضع السماعة ليخبرنا أنه حضر اليوم للعمل ، طلبت الانفراد به لعدة دقائق، لم يمانع بالرغم أن ساعات دوامه لم تنتهى بعد ، نهض ليصطحبنا إليه ، عبرنا بجانب عدة محلات تجارية لماركات عالمية ، انتشرت مؤخرًا كالوباء داخل البلاد العربية ، لا داعى لذكر نظرات الانبهار على وجه دارين ، النساء مهما تباينت أعمارهم ومستوياتهم المادية ، تسكرهم واجهات المحلات المضيئة ، دلف لمكتب خدمة العملاء واقترب من ميكروفون مثبت على الحائط وضغط زرًا أحمرًا قبل أن ينادى :

(على حسام مسئول قسم الأجهزة الالكترونية الحضور لخدمة العملاء)

مرت عدة ثوانى محاطين بنظرات الدهشة والتساؤل على وجوه العاملين بالمكتب ، انتشلنا منها صوت رشوان وهو يخبرنا بقدوم حسام ، مشيرًا لأحد الشباب وهو قادم تجاهنا ، سارع الخطى قلقًا ، ما إن اقترب والتقت عينانًا من خلال زجاج غرفة المكتب ، حتى ارتعد ثم ..

فر هاربًا فى ذعر

***

غادرت المكتب ركضًا خلف ذلك المعتوه ، لا ادرى سببًا لفزعه هذا ، لكن من المؤكد لى أن ذلك الفزع يخفى الكثير ، بإنسيابية تملّص بين صفوف البشر المكتظة سيرًا ووقوفًا أمام واجهات المحلات ، تابعته بطرف عينى حتى لمحته يقفز فوق حاجز حديدى ويعبر بوابة ملهى ترفيهى للأطفال ، عبرت خلفه ، ظل يدور حول الألعاب بحثًا عن مفر ، ثم إنه لم يجد سوى القفز على قطار يحمل عدة أطفال بأسرهم ، مما اضطر أحد الآباء لدفعه ليسقط أرضًا ومن فوقه يجثم رجلان من أمن المكان ، ليصيح أحدهم لاهثًا من خلال جهاز لاسلكى

- مسكناه يافندم

***

فى حجرة صغيرة تخص استراحة العاملين ، جلس حسام بنظرات زائغة ووجه متعرق باستسلام تام ، لم يتوقف عن اللهاث لحظة وكأنه لم يزل يركض .

تجلس دارين على أحد المقاعد ترقبه بعينى خبير ، بينما يقف رشوان عاقدًا كفيه يحدق به فى غضب ، هو نفسه لا يعلم سره ، ولكن من المؤكد بعد تلك المطاردة أن ذلك الموظف قد اقترف جرمًا لا يغفره سوى طرده من وظيفته ، وهو يقف فى انتظار الكشف عن ذلك الجرم لاتخاذ الإجراءات اللازمة ، طالبته بمغادرة المكتب ، حدجنى بنظرة غضب ثم انصرف فى صمت، أغلق الباب خلفه ثم استمر فى مراقبتنا من خلال زجاج النافذة ، سألت حسام عن إذا كان يرغب فى إخبارى شيئًا فرفع عينيه فى خوف وبصوت مرتعش خافت

- أنا ماقتلتوش
- طب مين اللى قتله ؟
- معرفش ، والله العظيم ما أعرف مين قتله
- ومادام أنت برئ ومتعرفش مين اللى قتله ، طب ليه جريت أول ماشفتنا ؟

زادت ارتعاشته قليلًا وخفت صوته وهو على وشك البكاء يردد :

- مكنش لازم كل ده يحصل ، قولتله مكنش لازم ده يحصل ، لكن هو مسمعش كلامى
- ايه اللى مكنش لازم يحصل ؟ ومين اللى مسمعش كلامك ؟
- مكنش لازم يصور ، مكنش لازم يصور

قالها ثم انهار فى نحيب نسائى وهو يخرج هاتفه من جيبه ويختار أحد الفيديوهات المسجلة ويضغط زر التشغيل ويناولنى إياه ، التقطت الهاتف ، فى حين ألصق رشوان أنفه بزجاج النافذة مُشرئبًا فى محاولة مجهضة لرؤية

فحوى الفيديو بينما اقتربت دارين لتلتصق بعفوية بكتفى وهى تشاركنى المشاهدة ..

الفيديو تم تصويره من زاوية واحدة ثابتة ، ويبدو من ردائته أنه سُجل بواسطة هاتف ، يُظهر سرير بالى يغطيه فرش متسخ وبجانبه كرسى خشبى وفى الخلفية حائط ملطخ ببقع ملونة من تأثير الزمن ، معلق على الحائط آيه قرآنية ، يدخل خالد مبتسمًا ثم يتبعه صديقه حسام ، يجلس الأخير على الكرسى الخشبى ، بينما تمدد خالد على الفراش وهو يمسك بريموت الكنترول ليوجهه تجاه الكاميرا وهو يضغط عدة أزرار ، مع كل ضغطة تتوهج الغرفة بلون مختلف ، لثوانى لم أفهم ما يحدث ، ثم أدركت

يبدو أن هناك تلفاز موضوع أمام السرير ، بينما خالد يبدل بين قنواته بالريموت كنترول ، ويبدو أيضًا أن الهاتف الذى يصور الأحداث مثبت فوقه، وأن أحدهما – وهو حسام على الأرجح - لايعلم بهذا التصوير، دار حديث غير مسموع بين الصديقين لعدة دقائق ، عرض صامت يحوى ضحكات ومشاجرات وممازحة بينهما ، كل ذلك طبيعى ومألوف

أين المغزى ؟!

ما الغريب فى هذا المقطع المصور ؟!! ..

هممتُ أن أسأل لكن الفيديو أجاب تساؤلاتى جميعها ..

***

أنهت دارين تقيؤها بصندوق القمامة البلاستيكي الصغير أسفل المكتب الخشبي وهي تسترد أنفاسها ، بالرغم من أنها شهدت ما يفوق ذلك بشاعة ، بينما انشغلت معه في حديث جانبي

- انتوا فى الموضوع ده من امتى ؟
- من زمان
- علشان كده جربت أول ماشوفتنا ؟
- كان لازم أجري ،الفيديو ده بيقول إن مفيش غيرى له مصلحة فى قتله

بعد برهة من التفكير

- ده رقم تليفونى لو عرفت أى حاجة اتصل بيا

ثم قرنت قولى فعلًا وناولته ورقة مدوّن عليها رقمى ، غادرت المكتب لتتبعنى دارين وهى لاتزال تحدق بعينيها إلى وجه حسام فى دهشة وعدم تصديق ، اصطَدَمتُ برشوان فعاجلنى بتساؤل

- ممكن أفهم البنى آدم ده عمل أيه ؟
- معملش حاجة ، كنت باخد أقواله فى قضية خالد ، وخلصت .. تقدر ترجعه شغله تانى

***

لم أكن أرغب فى الاستفاضة فى الحديث عن ذلك ، فهو على أي حال ، أمر فرعى لا يمت لقضيتنا بصلة ، الموضوع باختصار هو أن خالد وحسام أصدقاء من نوع آخر ،تجمعهما علاقة شذوذ جنسى ، لم يكن يدرى أهل

خالد بذلك الأمر ، أو بمعنى أدق لم تخبرنا أخته شيئًا ، الفيديو المصوّر كان لآخر لقاء بينهما ، سجله خالد دون علم خليله ، وكما يحدث دائمًا ، شاهده أحدهم بطريقة أو بأخرى ، ومن ثم قام برفعه على أحد المواقع بشبكة الإنترنت وحدثت الطامة الكبرى ، وصل الأمر لحسام عن طريق أحد الأصدقاء المشتركين بينهما ..

هاج وماج ، و نشبت بينهما مشاجرة عنيفة فى صباح أحد الأيام ، وسط نظرات زملائهما العاملين وعندما سُئلا عن السبب ، أجابا بأنها الخلافات المعتادة بين الأصدقاء ..

من ثم طلب خالد نقله إلى قسم آخر بعيدًا عن حسام ، وبعد الموافقة على طلبه بعدة أيام وجد مقتولًا ..

يا الله .. كان دائمًا تصورى للشاذ هو ذلك الشىء الذى يرتدى ملابس ضيقة ويعلق سلسلة برقبته ويتقصع فى مشيته كحيوان اليربوع بينما يضحك برقاعة ، لم أكن أعلم أنه قد يكون ذلك الشخص الذى تقابله يوميًا فى الشارع أو المقهى ، بروح الأب أخبرته أن تلك العلاقات الشاذة تنتج مشكلات جسدية و نفسية ، ليرد باستفهام استنكاري ، أو تخلو المعتدل منها من المشكلات !

بينما نبحث عن مكان ملائم لاحتساء مشروب يُعيد لنا قدرًا من التركيز المستنفذ على مدار يومنا لربط خيوط القضية ولزيادة القدرة على تحديد وجهتنا التالية ، استرق انتباهى أحد المحال التجارية الخاصة بألعاب الأطفال، فكّرت إن كان الوقت مناسبًا لذلك أم لا ، لكنى اتخذت القرار وأخبرت دارين أنى ذاهب لشراء شىء ما ، توجهت للداخل وابتعت عدة

أقراص مدمجة لأفلام توم وجيرى المفضلة لدى حبيبة .. تذكرت كم كانت تعشق تلك الأفلام وخاصة منها التى تنتهى بالمصالحة بين الطرفين المتنازعين، فكانت دومًا تُشفق على كلاهما وتراهما ضحايا لظروف معيشتهم البائسة ، أخبرتنى ذات مرة أنها تودُ لو كانت تملك استضافتهما معها فى حجرتها ..

يا ويلي .. كم أشتاق لأمسيات جمعتنا سويًا نشاهد تلك الأفلام

انتقينا طاولة بأحد أركان " كوفى شوب كومبانى " يقع داخل المركز التجارى ، طلبت قهوتى المعتادة بينما أوصت دارين على نسكافيه أسود خالى من السكر ، حطّت عنها ما تحمل وأطلقت تنهيدة قبل أن تخبرنى أنها ستذهب لشراء شاحن من أحد المحال فقد أصيبت بطاريتها بسكتة دماغية مؤقتة ، غادرت، فأخرجت هاتفى لأجرى اتصالًا بينما أصابعى تداعب الأقراص المدمجة ....

لا رد

أعدت الاتصال عدة مرات حتى أجابتنى زوجتى السابقة أخيرًا

- أسامة إزيك
- الحمدلله ، عاملة أيه ؟
- تمام أنت أيه أخبارك ؟
- العادى ، لا جديد .. ممكن أكلم حبيبة ؟
- أسامة ! أرجوك مش عايزين نرجع للموضوع ده تانى ، احنا قفلنا النقاش فيه .
- أيوه يا نيفين بس مش ....

قاطعته صارخة

- أسامة ، احنا اتفقنا على كل حاجة وكل واحد راح لحاله ، أنت ليك حياتك وأنا ليا حياتى

- طب وعلى ؟!

سكتت لبرهه وهى تقاوم البكاء وأجابت بحشرجة مكتومة

- أنا بزوره كل فترة ، وأظن كفاية اللى حصل

و أنهت الاتصال ..

لم أشعر بيدى وهى تلقى الهاتف بعنف على الطاولة لتفلت البطارية ويتهشم الهاتف تمامًا ، كانت دارين قد وصلت فى تلك اللحظة ، جلست ببطء على المقعد المقابل وهى ترمقنى فى دهشة ، شرعت فى جمع شتات الهاتف المحطم مرة أخرى ، ولكنها فشلت لتعلنها صريحة

- متهيألى كده نقدر نقول ... الله يرحمه

- مش مهم ، متشغليش بالك

- تحب تتكلم فى الموضوع ؟

***

نيفين رشدى الكومى ، قابلتها فى إحدى حفلات تكريم بعض الضباط المتقاعدين بالأقصر ، كان والدها آنذاك محافظًا ، دار بيننا حديث لم تتعدى مدته بضع دقائق ، كانت تملك معهدًا خاصًا للموسيقى .. فهى تعشق العزف على الكمان ، لكم أخبرتنى عن علاقتها بالموسيقى وخاصة بتلك الآلة على

وجه التحديد ، كانت تؤمن بأن " الموسيقى خلقت لتخرج من بين أوتار الكمان "

ترددت عدة مرات على ذلك المعهد بغية التقرب منها أكثر ، تعلمت الكثير عن الموسيقى ، ذلك العالم الآسر ، أتقنت طريقة إمساك الكمان ، فلهذا تكنيك خاص ، لكن للأسف لم يتخطى الأمر تلك النقطة ، فشلت بجدارة فى مجرد عزف السُلم الموسيقي حتى أعلنت يومًا عن مبتغاى الأول والأخير

انتقيت الأفضل لأول كل شيء بيننا

الزي الأول

ربطة العنق الأولى

تسريحة الشعر الأولى

العطر الأول

حتى مقطوعة الكمان التي سأديرها في السيارة ... انتقيتها بعناية

أوائل الأشياء لا تنسى أبدًا.... وصارحتها

(سأفكر) هكذا أخبرتنى شفتيها

بينما أخبرتنى عيناها بـ (أوافق)

خطوبة دامت شهرين ليس أكثر ثم أُقيم العرس بما يليق بابنة محافظ و ضابط مثلي ، وهكذا غادرت الدبلة بنصر الأيمن لتستقر وتسكن الأيسر ،

obeikan.com

بعد عام تُوج الزواج بزهرتى عمرى ، علي وحبيبة ، توأمان جاءا للحياة ليضفيا على وجودنا معنى آخر لم نكن لندركه لولاهما ، انغمست فى عملى أكثر و أكثر ، تقلدت عدة مناصب بفضل اجتهاد ومثابرة عدة سنوات ، نلت تقدير مادى ومعنوى من جميع رؤسائى فى فترة قصيرة نسبيًا ، انضممتُ لإدارة بالغة السرية والخصوصية لا ترفع تقاريرها سوى لمكتب واحد ، قائده هو قائد السرب حيثما ينظر ينطلق السرب ، وأينما يشير يستقر .

***

- طب كل ده جميل .. فين المشكلة ؟

تساءلت دارين وهى ترتشف مشروبها الدافئ

- المشكلة أنى بين انشغالى بشغلى ومسئولياتى اللى زادت ، قصّرت فى حقّهم

- أمممم ، بتحصل كلنا بتمر علينا فترات وبنقصر فى حق أقرب الناس لينا ، بس بنرجع وبنحاول نعوضهم بالطريقة اللى ترضيهم

- وده اللى حصل ، ويارِيته ما حصل

قطبت حاجبيها مستفهمة ثم وضعت مشروبها جانبًا

***

تزايدت المشاحنات فى الفترة الأخيرة ، تلك النوعية التى تدور فى فلك

أنت لا تكترث ..

أنت غير مسئول ..

وبعد أن يأست من تكرار مطالبتها لى باستقطاع جزء من حياتى للتفرغ للبيت والأبناء ، والبحث عن وظيفة أخرى تخلو من المخاطر ، جاء ذلك اليوم الذى أعلنتْ فيه بوضوح وحسم أنها لا تكترث لعملى الذى أراه دومًا رسالة مقدسة فُرُض على حملها

أشارت تجاهي بسبابتها وبعينين مشتعلتين غضبًا أردفت

فلتذهب رسالتك إلى الجحيم

لكن اعلم ...

" إن تأذى أحدهما يومًا .. أبدًا لن أغفر لك "

تهديد أنهت به دامعة العينين آخر مشاجرة بيننا وأكثرهم حدة ، ظننت يومها أنها مجرد فضفضة أو تنفيس عن مخاوف طبيعية ومعاناة لزوجة رجل مثلى ذو طبيعة عمل خاصة ولكم كنت مخطئًا ..

مشينا على قضيبين متوازيين .. جنبًا إلى جنب .. لكن لم نلتقِ مرة أخرى

لم أدرك حينها أن المرأة قد تسامح ، لكنها أبدًا لاتنسى

لم أدرك أن الخلافات تُذهب الحسنات .. تهدر العشرة ... وتقتل الحب

وكأن تحذيرها كان نبوءة محدقة ..

وكأن استخفافى به سيظل ذنب عمرى الأبدى ...

***

فى صباح أحد أيام الآحاد من شهر يناير ، كان الصقيع يضرب بأشجار الفيلا التى نقيم بها كنت عائدًا من إحدى المهام التى كُلفت بها ، كانت مهمة شاقة ومرهقة ، قضيت ما يقرب من الخمسين ساعة دون أن يطبق لى جفنًا، رأسى وذرات جسدى تئن وتطلب الرحمة ، لكن إنهائى لتلك المهمة على أكمل وجه أزال كل ما سبق ، دبّ فى جسدى صحوة نشاط جديد ، انسللت إلى غرفة النوم فى هدوء لأجدها مازالت غارقة فى نومها ، انحنيت ببطء ثم لثمت جبهتها فى رقة ، جلست على المقعد المجاور لفراشها ، أرقب تلك الزهرة النائمة فى مضجعها ، لا أتصورها أبدا تلك الإنسانة سيئة المزاج الذى كنت أتشاجر معها منذ عدة أيام ..

هل النوم يخرج أجمل مافينا .. أو ربما أصدقه ؟!

بدأتْ فى التململ كطفل حديث الولادة يكتشف أطرافه الأربعة ، ثم انتفضت فى خوف وهى تنظر إلى متسائلة عن سبب جلوسى بتلك الهيئة ، لم تفارق الابتسامة وجهى وبعبارة مقتضبة طالبتها بإيقاظ طفلينا والاستعداد للخروج لقضاء اليوم بأكمله معًا كأسرة واحدة سعيدة ، أخبرتنى ومازالت علامات الدهشة تشع من وجهها بأن أمهلها ساعتين قبل المغادرة ؛ لتذهب إلى مركز التجميل وتستعد ، اصطحبتْ حبيبة معها على أن تترك علي تحت مراقبتي ، فهما لا يزالا فى الخامسة من عمرهما ..

بدلت ملابسى بأخرى نظيفة ثم جلست معه نشاهد سويًا أحد الأفلام ، استلقينا على الأريكة نتابع مقلب جديد من مقالب توم وجيرى ، وجدت نفسي أقهقه عدة مرات ، ليس عليهما بل على ضحكات علي الصاخبة البريئة، وأدائه لتعبيرات يده فى محاولة لتقليد مايشاهد .

ارتخت أضلعى بينما ... يحاول الفأر الإفلات من قبضة عدوه

دب الخدر فى جسدى .. وهو يحاول مراوغته من أسفل الكرسى

غمامة تسربت إلى عينى ... وهو يمر من بين قدميه ويتخذ المفر الوحيد

أظلم العالم من حولى .. ثم قفز من النافذة صارخًا

وكانت مأساة حياتي وليدة غفوة

***

- نط من الشباك ؟!!

قالتها دارين والفزع يغزو ملامحها

- للأسف ، صحيت ملقيتش علي جنبى ، ولقيت الشباك مفتوح

- وبعدين ؟

- اتجننت طبعًا لما شوفته من الدور التانى مرمى فى الجنينة ومابيتحركش

- و حصله حاجة ؟!

- تهتك فى رجله اليمين ، وفضل فى المستشفى حوالى أربعة شهور لحد ما قدر يقف على رجليه تانى ، بس مرجعش طبيعى 100 % زى الأول ، بقى بيزك على خفيف كده

- وطبعًا الموضوع ده معداش على خير ؟

- انتهى بالطلاق بعد خناقات ومناوشات كتيرة وصلت للمحاكم لحد ماقدرنا نتوصل لاتفاق .. أن كل واحد يروح لحاله ، خدت علي يعيش معايا وسيبتلها حبيبة

- الحقيقة قصة أغرب من الخيال ، بقى اليوم اللى أنت تقرر فيه تصلح أخطاءك يحصل فيه كده ؟!

- بس الغريب فى الموضوع أنك لسه بتجيبله نفس الأفلام اللى كان بيحبها ، مع أنها كانت سبب فى اللى حصل ؟

بالفعل هى محقة فيما قالت ، لكن ربما أفعل ذلك فى محاولة لقتل شعورى بالذنب تجاه تلك الحادثة ، لكم تمنت أمه أن يُزج بي داخل السجن لأكفر عن إهمالي وتقصيري ، لم تكن تدري أن وجودي خارجه لا يعني أني لا أدفع الثمن

***

مرت دارين قبل مغادرتنا مباشرة على قسم الإلكترونيات لتبتاع هاتف جديد ، لم أعرف ذلك سوى فى طريق العودة ، أخرجته من علبته لتهدينى إياه ، اندهشت من تصرفها لا أعلم من تكون تلك المرأة التى تهدى رجلًا - لم تعرفه سوى منذ عدة أيام فقط - هاتفًا جديدًا ، حاولت التملّص لكنها أصرت ، أخبرتنى أنها تملك بطاقة خصومات لشراء تلك الأشياء التى نعتتها (بالتافهة من وجهة نظرى) دست الشاحن الجديد فى ثقب الولاعة لتسعف هاتفها المقتول ، فى حين بدأت تعد هاتفى الجديد للعمل ، دست شريحة الخط فى مضجعه داخل الهاتف ثم شرعت فى شرح خصائصه بينما أتابعها - دون اكتراث - بطرف عينى وأنا أقود السيارة ، ألمحت إلى أنها عمدت إلى شراء هاتف حديث ليسمح بالاتصال عبر شبكة الإنترنت ، لمحت بطرف عيني ومضة

فلاش وفى عدة دقائق أخبرتنى أنها انتهت من إنشاء حساب خاص بى لموقع التواصل الإجتماعى " الفيس بوك " وعينت صورتي الملتقطة ك(بروفيل بيكتشر)على حد قولها ، لكنها تركت خانة المهنة فارغة دون تفاصيل بالطبع، كم أمقت تلك المواقع ، فهى لا تغنى ولا تسمن من وجهة نظرى ، في النهاية قررت أن أبدو ممتنًا على الأقل ، لكنى فشلت فى إخفاء استيائى مما تفعل

- أنا مش فاهم يعنى لزمة الفيس ده أيه ؟ عَطَلة على الفاضى ، علي ابنى بردو بيقعد عليه بالساعات معرفش بيعمل أيه ؟

أجابت أن مواقع التواصل الاجتماعى بالرغم من ضررها الواضح والقوى للعلاقات بين الأفراد وبعضهم البعض ، إلا أنها فى النهاية سلاح ذو حدين ، قد ينفع وقد يضر ، بينما هى تستخدمه فى التواصل مع المتدربين من الضباط النشء وطلاب الجامعات التى تدرس لهم ... لاحظت امتعاضى لتغتاظ قائلة

- طب تعرف إنى ممكن أحلل شخصيتك عن طريق حسابك عالفيس بوك ؟

- إزاى يعنى ؟!

قرنت قولها فعلًا وشرعت فى شرح عملى لمقصدها مما قالت ، أمسكت بهاتفها لتقربه من وجهي

- يعنى بص مثلًا أمثلة من الأصدقاء عندى على الفيس ، الأستاذ ده مابينزلش غير بوستات سياسية .. فده غالبًا لا يقبل الرأى الآخر ومتصلب برأيه جدًا ،واحد تانى أهو بوستاته كلها علمية ، ده غالبًا جاهل وبيستعرض

معلومات لسة ناقلها طازة من جوجل ، ده بس علشان يبان راجل مثقف وجامد يعنى ..

واحد تالت منزل صورته بالجيتار و جوة عربيته ، ده شخص بيحاول يلفت الانتباه ، واحد رابع منزل بوست معايدة بمناسبة عيد الأضحى مثلًا ده غالبًا فاتح صفحة سكس وبيتفرج على (ساراجاى) ، وأصعبهم بقى الواحد اللى تلاقيه بياخد سلفى كتير وبيكتب فيلنج كذا ، وبياكل آت كذا ،ده مريض نفسى وعايز يتعالج .. سيبك منه

قالتها ثم التقطت صورة سيلفى وانشغلت فى أمر ما

***

عدت للمنزل فى حوالى التاسعة مساءًا وبعد الإجراءات الروتينية جلست بحجرة المكتب لأتابع عملى ، خططت على ورقة بيضاء بعض الكلمات محاولًا قدح زناد أفكارى للإمساك بأى طرف من أطراف تلك القضية ، لم ألحظ تسلل علي بهدوء وهو يراقبنى بينما أنا غارق حتى الثمالة فى بحر أفكارى وتساؤلاتى .

- حمد الله على السلامة

قالها لأنتفض فزعًا ، بإبتسامة أخبرته أنى لم أشأ إزعاجه حين عدت ، طالت نظرته إلى صمتًا ثم انزلقت عيناه على هاتفى الجديد فتهللت أساريره

- مبروك ، آخيرًا اقتنعت ؟!

تظاهرت بعدم الفهم ليردف وهو يشير للهاتف

- اشتريت سمارت فون بعد ما كنت بتكرهه

أخبرته أن هاتفى القديم قد تحطم إثر سقوطة من مكان مرتفع واضطررت لشراء واحد جديد ، أمسك به وتفحصه بينما تظاهرت باستكمال ما كنت أفعله ، فانصرف بهدوء بعد أن وضع الهاتف على المكتب بجانبى ، بعد عدة دقائق تسلّلت يدى لتمسك بالهاتف ، أداعب برامجه وألعابه لأستقر على الفيس بوك ، ولجت الى حساب الشخص الوحيد الذى أعرفه فى هذا العالم الأزرق ، دارين ، طالعت صورها ومنشوراتها بشغف استنكرته بعد دقائق ، فتركت الهاتف وقررت الخلود للنوم خاصة بعد يوم عمل طويل ومشحون .

***

انسللت إلى الفراش لأنام .. لكن لم أنم وحدي تلك الليلة

تمدد إلى جوارى شىء لم أدرك كنهه

شىء يُشبه الخوف ....

***

فى صباح اليوم التالى

بينما أعبر الطريق لأستقل السيارة أخرجت المفتاح ليسقط رغمًا عنى منزلقًا أسفل السيارة محدثا صلصلة مكتومة ، إنحنيت جاهدا متحسسا بيد عمياء موضع سقوطه ، لمست يدى شئ مشعر أملس ، جسسته لأتبين كنهه ، فارتعش مبتعدًا ، سحبت يدى فزعًا متراجعًا إلى الخلف لأراه يخرج من أسفل

السيارة ببطء متحفز للانقضاض عليّ ، كلب أسود ، فزعت رعبًا ، ليس لمجرد رؤية كلب بالطبع ، لكن لرؤية كلب يجر رأسه المنفصلة عن جسده خلفه ، فى حين تنظر إلى عينا الرأس المنفصلة بكره شديد ، وبينما أتراجع الى الخلف سمعت صرخة إطارات سيارة قادمة مسرعة كادت أن تدهسنى لتتوقف بالكاد قبل قدمى بسنتيمتر واحد فى حين انهال على صاحبها بالسباب متهما إياى بالسكر والعربدة .

رفعت يدى أشير له معتذرًا دون حرف واحد ، تخطانى مبتعدًا وفرك عجلات سيارته يصدر قعقعة صاخبة ، عدت ببصرى للكلب الممسوخ لأراه وقد اختفى .

***

الثالثة ظهرًا ..
محطة مترو أنفاق العتبة
اخترقت حشود البشر المندفعة

فى ذلك المكان ترى بعينيك ويستشعر قلبك مشاعر البشرية جميعها ، سواليها وموجباتها من المهد إلى اللحد ، فترى ذلك الرضيع الذى تحمله أمه وهى تهرول مسرعة فى محاولة للحاق بالمترو قبل أن يتخذ قراره بالرحيل ، بينما هو ينظر للاشىء ، ولا يدرى شيئًا، مستسلمًا تمامًا لها ولقدره الذى سوف يجعله يومًا كذلك الشاب الذى يرتدى قبعة معكوسة على رأسه ويضحك فى بله مع زميلته بالجامعة ، وهو يمسك بيدها إمعانا فى إظهار حبه وولعه بها ، ويناقشان مستقبلهما الوردى ، من وجهة نظره بالطبع ، وكيف سيصبح يومًا رجلًا يفتخر به العالم أجمع ، مؤكدًا على مسامعها وهو يشير إلى

أحدهم بطرف عينه أنه لن يكون ذلك الرجل المستسلم لقدره البائس وهو يجاهد شقاء الحياه ليحظى بملاليم كل يوم ..

نحيت تلك الأفكار عن رأسى وتذكرت السبب الرئيسى لقدومى لهذا المكان حيث وقعت جريمة قتل أخرى

***

حدثت الجريمة فى أحد دورات المياه داخل المحطة ، ومعالم تنفيذ الجريمة نفسها لا اختلاف فيها ..

طعنة الصدر بخنجر محفور عليه جملة " حرر قيد الفراشة " لا جديد فى الأمر سوى مسرح الجريمة ، بلاط أرضية المكان الأبيض تلطخ بالحمرة القانية أثر الدماء وكذلك الحائط انطبع عليه بعضه ، يبدو أن القتيل قد حاول المقاومة

عرفت من مسئول النظافة عن دورة المياه أنه عندما حضر لممارسة عمله لاحظ أن كل أبواب حجرات دورة المياه توالى عليها الرجال بالدخول والخروج عدا ذلك الباب الذى ظل لأكثر من نصف ساعة مغلق لم يفتح بالمرة ، نقر العامل بإصبعه عدة مرات لكن لم يجبه أحد ، حاول فتح الباب عدة مرات لكنه فشل ، أحضر سلمًا واعتلاه لينظر من أعلى فوجد ذلك المشهد ، أصابه الرعب ليجرى إلى رئيس المحطة ليخبره ما حدث ، و الذى اتصل بدوره برجال الشرطة ، أغلقت دورة المياه بالكامل وتم التكتّم على الأمر حتى لا يصاب الرواد بالفزع ، وساعد فى ذلك ضوضاء المحطة التى يلتقى فيها خطين إقليمين بركابهما ، القتيل يرتدي بدلة كحلية باهظة الثمن وقميص أبيض وربطة عنق تتناسب مع مستوى البدلة ، لكن بالرغم من

هيئته السابقة ، إلا أن شيئًا في ملامحه أخبرني أنه ليس غنيًا كما يبدو ، فالرجل يبدو في آواخر عقده الخامس ذو جسد نحيل نحول فقر مدقع ، ويد معروقة وعينين غائرتين ولن أندهش كثيرًا إذا اكتشفت أنه مصاب بانيميا حادة ، ولجت إلى حجرة المراقبة المركزية للمحطة لأشاهد اللقطات التى سجلتها الكاميرات ، لا يوجد أى دليل يمكن الاستناد عليه فى تلك التسجيلات، مر فى أقل من خمس دقائق آلاف البشر من أمام دورة المياه ، واستخدمها المئات ، لا يمكن الجزم بأن أحدهم قد فعلها لكن المثير في الامر حقًا هو (كيف؟)

كيف استطاع أحدهم إتمام عملية القتل والانصراف بسلاسة وهدوء وسط كل هذا الحشد من البشر ؟؟ ، بل وكيف تمكن من إحكام غلق دورة المياه من الداخل ؟!!!!

أثناء خروجى من الحجرة قابلت " دارين " التى قد وصلت متأخرة بسبب الزحام ، أخبرتها بآخر التطورات كاملة ، و أثناء خروجنا من المحطة فوجئت برسالة قادمة على هاتفى على الفيس بوك لا تحوى كلمات بل صورة أرسلها شخص يدعى (عين الحياة) صورة تم التقاطها لجثة الرجل داخل دورة المياه

***

آثارنى الأمر حقًا

من يعرف أنى أملك حسابًا أزرقًا ؟

الأمر يقتصر فقط على دارين وعلى

كيف توصل إلى بهذه السرعة ؟

بل و الأهم فى ذلك كيف حصل على تلك الصورة ؟

هل هو القاتل الذى نبحث عنه ؟ إذًن ما سر اتصاله بى ؟

لاحظت دارين شرودى فأخبرتها بالأمر ، التقطت هاتفى وطالعت الرسالة ، أخبرتنى أن صاحب الرسالة قد أرسلها من حساب وهمى يسمى عين الحياة ، ثم ضغطت عدة حروف لتكتب

" أنت مين ؟ "

ثوانى معدودة حتى جاءها الرد

" عايز أشوفك "

نظرت إلى نظرة متوجسة كمن يوشك على إبطال مفعول قنبلة ثم

" امتى وفين ؟ "

" كمان 20 دقيقة فى قهوة البورصة "

***

عبرنا الشارع الطويل المزدحم بالمارة والسيارات حتى وصلنا الى ما يسمى بقهوة البورصة ، قهوة عتيقة وأحد معالم المكان ، بدا جليًا فى الإقبال الملحوظ من مريديه ، بألوانهم وخلفياتهم الاجتماعية المختلفة ، بين شباب ما زالت أنوفهم تستنشق نسائم المستقبل ، وعجائز يستنشقون رحيق الذكريات، ترى بعض السائحين يجلسون هنا أو هناك وقد انخرطوا فى مزيج من الانبهار والحنين ..

تنتشر عدة طاولات بلاستيكية مستديرة خضراء اللون تلتف حول كل طاولة عدة كراسى بيضاء ، ورائحة النراجيل متعددة النكهات تفعم المكان وتخدر الأنوف ، أرضية المكان معبدة بالقرميد الأحمر المسدس ، وعلى الحوائط رسمت الصور الجرافيتية لبعض الأشخاص ، وبقايا صور مرشحين سابقين لرئاسة الجمهورية ، المكان إجمالًا مبعث لسلام نفسى وراحة داخلية، لاحظت ذلك أيضا على وجه دارين ، التى بمجرد أن جلست أشارت لأحدهم وطلبت مشروب الكاكاو الساخن ، بينما أشرت له بقهوة داكنة ، أخرجتُ عُلبة سجائرى والتقطت واحدة واشعلتها فى نهم منتشي، أول سيجار أدخنه هذا اليوم فى خضم أحداثه ، راحت تتلفت حولها بحثًا عن الشخص المجهول (عين الحياة) ، أخبرتها أنه موجود يراقبنا فى صمت متوجس ، وربما أيضًا يجلس بالمنضدة المجاورة ، باختصار

- ما تشغليش بالك

" لو كنت بس ساعتها عارف .. إن دى المرة الأخيرة .. مية مية كانت هتفرق فى الوداع "

انطلق هاتفى بتلك النغمة التى خصصها عليٌ لرقمه ، وما أغربها من نغمة ، أجبته ليخبرنى أنه اتصل ليطمئن وأنه يشعر بالقلق ويحتاجنى بجانبه، تسلل الخوف إلى قلبى كسرب نمل ليطرد مشاعر السلام النفسى ويقيم عروشه المظلمة ، أخبرته أنى سأنهى عملى باكرًا و أعود إليه ؛ لنقضى سويًا أمسية هادئة كعادتنا ، أنهيت المكالمة لأجد القهوة ساكنة أمامى تنتظر فى ملل، ارتشفتها ببطء ولاحظت ملامح دارين وقد انتهت فجأة وهى تشير لنقطة ما خلفى ، نظرت حيث أشارت لأجد شابًا يقترب بإبتسامة باهتة لا تخفى توجسه الملحوظ ، مد يده وصافحنى مقدمًا نفسه

- حاتم الصواف ، صحفي فى جريدة عين الحياة

صافحته ودعوته للجلوس فجلس ، يبدو فى أواخر العشرينات حليق الرأس بالطريقة المسماة (عالزيرو) ، يرتدى نظارة طبية بلا إطارات وقميصًا داكنًا وبنطال قماشى ، أراح كفيه على مسندي مقعده البلاستيكى بينما راحت سبابته اليمنى تنقر باضطراب ، اغتنمت الفرصة وباقتضاب

- وصلتلى إزاى ؟ وأيه المطلوب ؟!

أجاب بأنه كان أحد رواد المترو هذا اليوم وشعر بالجلبة التى حدثت فى دورة المياه وحينما وجد عامل النظافة يركض فزعًا ، اعتلى السلم الموضوع أمام أحد دورات المياه والقى نظرة ليجد جثة الرجل ثم التقط صورة بواسطة هاتفه ، ظل يحوم حول المكان بغية الحصول على سبق صحفى يفتخر به بين أقرانه ، حتى رآنى متواجدًا بين الحضور وبعد ذلك استرق السمع للنقاش الدائر بينى وبين دارين

- لاحظت أن الأستاذة ماسكة موبيل وعندها حساب عالفيس وعرفت اسمها واسم حضرتك...

اضطرب كمتهم يعترف بجريمته مردفًا

- بحثت على اسمها لحد ماعرفت أوصل لحضرتك من خلال حسابها

سألته لم لم تحادثنى مباشرة وتفصح عن مبتغاك ، أجاب بأنه خشى أن أصده أو أنهره

بنفاذ صبر سألته

- طيب ده إجابة السؤال الأول الغير مقنعة بالنسبالي ، لكن ماعلينا، إجابة السؤال التانى بقى !

- كنت محتاج أعرف تفاصيل أكتر عن الحادث

أطلت النظر إلى عينيه فى صمت لثوانى قبل أن أخرج ورقة نقدية لألقيها على المنضدة وهممت بالوقوف لتتبعنى دارين وتهب واقفة هى الأخرى ، ثم أشرت إليه مهددا

- الصورة اللى معاك دى تتمسح فورًا وأى خبر هيتنشر عن اللى حصل إنهاردة هقفلّك الجرنال اللى أنت شغال فيه ده ، ويمكن أحبسك

استدرت مغادرًا وبعد عدة خطوات صاح

- أنا عارف إن الموضوع ده ليه علاقة بحادثة المعادى

***

ذلك الصحفى توصل بطريقة أو بأخرى لعدة صور لخالد قتيل المعادى، أفاد بأن أحد أقاربه التقطها بالصدفة يوم أن حدثت الجريمة ، أرسل الصور ليستغلها كسبق صحفى

- وما نشرتش الصور ليه ؟

- أنشرها فين يابيه ؟

- فى جريدة عين الحياة

- يا بيه لا فيه جريدة ولا عين ولا حياة ، انا على باب الله بقالى شهرين، كل الأبواب مقفلة فى وشى بنزل كل يوم الساعة 8 الصبح اترزع عالقهوة لحد

الساعة 4 العصر و أروح ، ماهو مينفعش أفضل قاعدلهم زى قرد قطع كده فى البيت طول النهار، هما فاكرين إن أنا صحفى قد الدنيا

- وأيه المطلوب مني يا حاتم ؟

اقترب منى باستعطاف قائلًا

- خبر ولا اتنين أدخل بيهم على أى جرنال يمكن تكون فتحة خير والعمليه تسلك

- طلبك مش عندى يا حاتم ، دور على حد تانى

***

قررت الاستفادة من أرقي مؤخرًا ، نعم فحتى للأرق فائدة بعض الأحيان، وبمرور الأيام أتقنت استخدام العالم الأزرق ، هو مُهر كعلبة هدايا لُفت بغلاف لامع جذاب لكنها فى حقيقة الأمر.. فارغة من الداخل

قابلت كثيرًا من البلهاء وشاركت فى الرد على بعض المنشورات وأيضا توصلت لطريقة حظر البعض من المزعجين ، تعددت لقائاتنا أنا ودارين بحكم العمل فى الفترة الأخيرة أذكر أحدها وبينما كنا نجلس نتكلم حول قتيل المترو أخبرتنى الكثير عن جانب من شخصية قاتلنا السلوكية ، فكما بدا لها ، شخص يحب الظهور والأضواء ، معظم جرائمه نفذت فى أماكن عامة ومزدحمة ، لكنه فى نفس الوقت انطوائى ، وانطوائيته فى غالب الأمر مفتعلة كمن يريد أن يعتزل الناس ؛ ليشيروا إليه بالبنان بانبهار غامض ...

أثار كلامها علامة استفهام داخلى ، سألتها هل الانطوائية مرض يمكن علاجه ؟

فوضعت عن شفاهها قدح الكاكاو الساخن لتنظر إلى فى صمت لبرهة قبل أن تجيب بأن البعض يرى فى الانطواء حل لمشاكل أكبر.. عقبت مستفسرًاوهل فعلًا الانطواء حل ؟

- أنا اللى المفروض أسألك السؤال ده ، الانطواء حل مشاكلك؟

ياله من سؤال ، قد اتخذتُ منذُ أعوام مبدأ فى الحياة يتلخص فى أن أتخلص من أى علاقة تؤرقنى أو تدفعنى لأكون شخصًا أسوأ ، مهما كان مسماها أو قوتها ، لكن السؤال المنطقى الذى يطاردنى دائمًا حول هذا المبدأ كلما تذكرته ..

هل أنا الآن أفضل ؟

بالطبع لا ، لكن أقل سوءا ، ما أصعب أن تعيش حياه تحاول فيها دائمًا أن تكون أقل سوءا بدلًا من أن تكون أفضل من ذي قبل .

أجبتُها باقتضاب

- أكيد

سألتنى متشكّكة

- مش حاسس بالذنب ؟
- لأ
- غريبة ، مع إن شكلك مش سعيد فى حياتك

سألتها ما علاقة السعادة بالشعور بالذنب ؟

أجابت أن السعادة هى ألا يشعر الإنسان بالذنب حيال أي أمر قط ، لكن عليه أن يحرص ألا يُصبح يومًا جمادًا متبلد الإحساس

انهيتُ حديثنا الجانبى

- خلينا فى موضوعنا

تقبلت هروبي بصدر رحب لأناولها ملفاً يحتوى على بيانات رجل محطة المترو ، القتيل اسمه فهمى محمد البكرى يبلغ من العمر واحد وستين عامًا ، كان يعمل مدرسًا للغة العربية بمدرسة ثانوية ، من الإسكندرية ، كان يصطحب يوم الحادث شنطة بلاستيكية وبها ملابس قديمة ومهترئة ومحفظة جلدية متشققة لم يكن فيها سوى بطاقته الشخصية وعشرون جنيهًا فقط .

كان توقعى إذن صحيحًا ، فيما يتعلق بفقر الرجل حين رأيت جثته أول مرة ، لا جديد فى تقرير المعمل الجنائى لكن المثير للتساؤل فى الأمر هو ماذا كان يفعل هذا الرجل فى القاهرة ؟ وما سر ارتداءه تلك البدلة الكحليه ؟

***

فى صباح اليوم التالى وبينما كنا منطلقين بالسيارة على طريق القاهرة الإسكندرية الصحراوى ، كان الطريق خاليًا من السيارات ، وضباب خفيف أحاط بالسماء ، لا تكاد ترى اليافطات الدعائية بصعوبة على جانبى الطريق، وكعادة دارين الأزلية ، أمسكت هاتفها تقرأ وتطالع ، قررت تلك المرة أن أقطع الصمت .

- ازاى عارفة تنسقى بين حياتك وشغلك ؟

وضعت هاتفها جانبًا لتنظر أمامها للطريق الممتد وكأنها تستجمع أفكارها وحروفها

- أنت افترضت فى سؤالك إنى عارفة أنسق بالفعل !! وأنا الحقيقة مش عارفة ده بيحصل فعلاً ولا لأ ؟ ، بص يا سيدى ..

سكتت برهة مرة أخرى قبل أن تسترسل فى الحكى .. أخبرتنى أنها متزوجة برجل أعمال ، لديه شركة كبيرة فى الاستيراد والتصدير ، تحبه ويحبها كثيرًا لا ينقصهما سوى الأطفال ، لم يرزقهم الله خلال سنوات زواجهما بالطفل ، أجريا العديد من التحاليل والاختبارات داخل وخارج البلاد ، أكدت كلها على أنه ليس هناك ثمة عيب واحد ولو صغير يمنع إتمام عملية الإنجاب، فقط هى إرادة الخالق ، ارتضياها بدورهما وواصلا طريقهما فى الحياة ، انغمس هو أكثر فى عمله ونجاحه ، وغرقت هى فى دراستها وعملها بعد أن كادت تتخذ قرارها بالاستقالة ، إذن هذا هو سر تعلّقها وشغفها بعالمها الأزرق ، شعرت بالخجل ، لا تتفه أحدهم لمجرد اهتمامه بما هو غير مُجدي من وجهة نظرك ، فلولا اهتمام نيوتن بسقوط تفاحة لما عَرِفَ العالم الجاذبية

***

يا إسكندرية بحرك عجايب .. ياريت ينوبني فى الحب نايب

تحدفني موجة على صدر موجة .. والبحر هوجة والصيد ما طايب

اغسل هدومي .. وانشر همومي .. على شمس طالعة وأنا فيها دايب

" الشيخ إمام "

***

فى أحد شوارع الإسكندرية المزدحمة بالمارة والسيارات على جانبيها ، دسست سيارتى بالكاد بين سيارة وعمود إنارة مهشم ، أخرجت ورقة مطوية لأتأكد من العنوان ، سألت أحد بائعى الخضروات فأشار بيده لأحد الأزقة الضيقة ، دخلنا على مهل نتحسس خطواتنا ، حتى عثرنا على المنزل المنشود، سألت أحد الأطفال وهو يلعب الكرة وقد تغبّر وجهه من أثر التراب عن منزل فهمى محمد البكرى ليخبرنى أنه يقطن بالطابق السادس ثم ركض مبتعدًا بكرته .

وفى داخل إحدى الشقق الضيقة ، جلسنا مع زوجة القتيل وقد بلغت من الحزن مبلغه ، تكلّمتْ عن زوجها الذي كان يعمل مدرسًا للغة العربية باحدى المدارس الثانوى وأن لديهما أربعة بنات مازلن فى طور التعليم ، وحكتْ لنا كيف عانى كثيرًا بعد بلوغه سن المعاش بحثًا عن وظيفة أخرى ، فدخله من معاشه لا يقوى على تربية " أربع معزات " على حد قولها فضلًا عن تربية أربعة بنات فى مراحل تعليمية مختلفة ، سألتها عن سبب ذهابه للقاهرة ذلك اليوم

- معرفش يا بيه ونبى ، هو أجّر بدلة من سيد المكوجى ليلتها ولما سألته عنها قالى إن فيه شغلانة هيتقدم لها ومحتاج طقم عليه القيمة

انخرطت فى البكاء قبل أن تلطم خديها

- مكنش يعرف أنه مقدم على موته

سألتها السؤال - الغير مُجدي والحتمي فى آنٍ واحد - عن وجود أى عداوات شخصية لتجيبنى بالنفى التام ، باستفساري عن أن كان هناك من

يعلم أى تفاصيل أخرى ؟ أفادت أنه لم يكن اجتماعيا وليس لديه صداقات تُذكر

انصرفنا وما أن خطت أقدامنا خارج البيت المتهالك حتى عرجنا على محل صغير لا يتعدى الأربعة أمتار مكتوب على حائطه (سيد المكوجى وشركاه) ويقف داخلة رجل يرتدى قميصًا مشجرًا ويدس لفافة تبغ بفمه ممسكًا بمكواة وهو يمررها يمنة ويسرة على بنطال أسود وهو يتغنى

(البحر بيضحك ليه .... وأنا نازلة ادلع أملى القلل)

ثم ارتشف رشفة ماء وبخّها بقوة ، لم أشأ مقاطعته تركته يُغنى متأثرًا بشىء ما ، أطلنا الوقوف حتى ربتت دارين على كتفى لتحثنى على الكلام .

- أنت سيد المكوجى ؟

ترك ما بيده ثم رفع سبابته لأعلى وبكل حزم وجدية

- أنا البحر فى أحشائه الدركامن

ثم ابتسم

- أؤمر يا بيه أنا سيد ، المكوجى الأول فى المنطقة كلها تمن

سألته عن فهمى القتيل فانكمشت جبهته تأثرًا

- الله يرحمه ويعوض عليا فى البدلة اللى كان واخدها
- متعرفش هو كان واخد البدلة يعمل بيها أيه ؟
- سبوبة

ثم استدرك مكشرًا عن انيابة

- إنما حضراتكم مين كده بالصلاة عالنبى ؟
- أنا ظابط بحقق فى قضية قتله

ابتسم باضطراب ليتحول الأسد إلى قطة

- لامؤاخذة يا باشا ، أصل موضوع شغله ده كان سر مؤتمنى عليه عشان مكنش معرف الجماعة عنده في البيت
- سر ليه يعنى ؟

خفض صوته وهو يقترب من أذنى

- أصله كان شغال كومبارس فى السيما قد الدنيا وكان خايف الجماعة يعرفوا ويستعروا منه لامؤاخذه

مصمص شفتيه وهو يتذكر

- يا سلاااام ، ده حكالى على اللى بيشوفه ويسمعه فى التصوير ، حاجة كده آخر أبهة

هنا التفتت دارين إلي وقد تذكرت أمرًا ما ، هززت رأسى مستفسرًا لتجيب مقطبة حاجبيها

- فاكر لما خدت التاب بتاع خالد ؟

أومأت موافقًا لتردف

- ونا بقلب فى الصور لقيت صور كتير ليه وهو متصور مع ممثلين

obeikan.com

- اسم الفيلم اللى بيصوره أيه؟
- نهر الخوخ
- فى حد تانى يعرف موضوع شغله ده ؟
- الحارة كلها تقريبًا ماعدا مراتة وبناته ، آه ، أومال ؟ دى أمانة

انتهينا من حديثنا ثم انطلقنا بالسيارة للعودة الى القاهرة

***

كم أعشق القيادة ليلًا ، اعتبرها أفضل وسيلة للتفريغ النفسى ، كأنك تطير فى كون فسيح مظلم ، لا تعبأ بشىء ولا تكترث لأحد ، تفكر بحرية وكأن الأفكار تُرى وتُسمع، تُبصر فى الظلام ما تعجز عن رؤيته فى وضح النهار، تواجه مشاكلك كأنوار تلك السيارات المُقبلة فى الطريق المعاكس ، تبدأ ضعيفة فتقوى شيئًا فشيئًا إلى أن تظنها بلا حل ثم ..

تخفت وتتلاشى

دارين بجانبى مُغمضة العينين بلا حراك ومع كل نور سيارة يمرق ينشرح صدرى أكثر كنت هائمًا فى تلك الحالة إلى أن ... لمحت ذلك الشاب يقف على جانب الطريق بثبات وكأنه صنم ، ماذا يفعل فى هذا الوقت المتأخر على طريق صحراوى مظلم ؟ بل والأغرب ما يرتديه ، بالرغم من برودة الطقس بعض الشىء إلا أنه كان يرتدى بنطال جينز رمادى وفانلة تحتية قطنية بيضاء اللون ، وبرغم الظلام الحالك لمحت كلمة موشومة على كتفه الأيسر " عبدالله "

- دون إرادة منى ، انتقلت قدمى اليسرى لتطبع قبله حانية على دواسة المكابح فتبطئ السيارة قليلًا ثم عدلت عن الأمر برمته ، والشاب لا يتحرك من جسده سوى رأسه وهو يتابعنى فى صمت وما إن قررت الاستمرار فى طريقى حتى وجدته يقفز على مقدمة السيارة بكل قوة لأدهس دواسة المكابح تلك المرة حتى كاد وجه دارين يصطدم بزجاج السيارة الأمامى لولا تدخل حزام الأمان المشدود على صدرها ، أطلقت صرخة وكأنها لم تصرخ من قبل متسائلة عن ما يحدث .. فى الحقيقة كان السؤال محرجًا للغاية ، وخاصة أن الشاب اختفى تمامًا فلم أجد ما يقال سوى معلش عينيا راحت فى النوم

***

فى باخرة نيلية فاخرة راسية على شاطيء بمنطقة المعادي ،وعلى إحدى الطاولات المميزة تجلس سيدة وقد بدا عليها الوقار ، ترتدى بدلة نسائية سوداء وقميص ستان لامع يبلغ أعلى رقبتها ، تنحنحت وهى تزدرد ريقها قبل أن تستجمع قواها ليخرج صوتها متحشرجًا وهى تحدق لمحدثها بذهول

- أنت ازاى تطلب مني الطلب ده ؟

فيرد بهدوء

- يا دكتورة المسألة مسألة عرض وطلب ، وماتنسيش إن دى فرصة محدش يقدر يرفضها ، وأى عالم فى مكانك يتمناها

- فرصة ؟! أنا عمرى ما بيع علمى ولا بلدى اللى اتربيت وعشت فى خيرها ولو بملايين الدنيا ، حتى لو وصلت لموتى ، أنا مش مصدقة إن بلدك اللى بتتشدق بالحريات وحقوق الإنسان يكون ده تفكيرها ! بلغ اللى بعتينك إن الدكتورة لمياء الحسينى هتفضحهم واحد واحد

قالتها وهمت بالمغادرة لولا أن استوقفها محدثها ذو الملامح الغربية وقد تحولت نبرة صوته لخشونة مهددًا

- أخشى ... أنك متلحقيش تعملي كده

احتقن وجهها غضبًا وخلعت عن وجهها نظارتها المعدنية بلا عدسات وقبل أن تتفوه بحرف واحد انفجر زجاج النافذة المجاور للطاولة ليفيض صدرها بالدماء وتترنح لبرهة قبل أن تسقط أرضا وهى تتفوه

- مصر .. تحيا .. مصر (ثم تنقطع أنفاسها)

هنا يقفز رواد المكان هاربين بين صراخ واستغاثات البعض ليسود المكان هرج ومرج شديدين وفى تلك الأثناء يقترب أحدهم ثم ينحنى بابتسامة على وجهه تصل ما بين أذنيه ويهمس فى أذن القتيلة

- هاااايل يا حبيبة قلبى يا نجمة مصر الأولى

تنهض المرحومة ثم تُصدر صوتًا اعتراضيّا من أنفها خرج حارًا وهى تخلع ملابسها العلوية وتُشير لصدرها

- قولتلك بلاش فيوز الدم ، هيهدلني ونا محلتيش غيره

ارتبك الرجل خافضًا صوته فى إحراج

- يا ملكة مينفعش كدة قدام الناس ، ده حتى انا المخرج يبقى شكلي ايه دلوقتى ؟

اشاحت بيدها اعتراضا قبل أن تنهض متجهة لغرفة ملابسها بجسد نصف عارى سوى من حمالة صدرها التى تلطخت بالدماء المزيف ثم صاحت فى مساعدتها

- يلا يابت علشان الحق السبوبة التانية

استرد المخرج هيبته مرة أخرى ليأمر بصوت جهورى

- خمس دقايق وتجهزوا المشهد اللى بعده ... يلاااا

تحرك طاقم التصوير كخلية نحل فى الباخرة بعضهم يحمل كشافات الإضاءة الضخمة والبعض الآخر يعدل من وضع الكاميرا، بينما شرع أحد العاملين فى إزالة آثار الدماء عن أرضية المكان

كنت أجلس فى أحد الأركان المثبت بها شاشات التصوير أتابع المشهد ، التفتُ لاجد دارين متصلبة وقد فغرت فاهها فى ذهول

- مش مصدقة اللى شوفته .. بقى دى (هنا) اللى عملت أدوار رومانسية وبتطلع فى منتهى الرقة والأدب ؟ لأ وأنا اللى أول ما شوفتها خدت سيلفى معاها

أنهت جملتها وأخرجت هاتفًا ثم أزالت صورة وهى تُزم شفتها بإشمئزاز

- على فكرة الممثلة دى ليها ملف فى الآداب ، عموما مش موضوعنا ، إحنا جايين لمهمة نخلّصها ونمشى

***

- بردوا مش فاهم أيه المطلوب ؟

قالها المخرج وهو يلصق عينه اليمنى بعدسة الكاميرا ويغمض الأخرى ثم ينخرط فى حديث جانبى مع مدير التصوير شارحًا زوايا تصوير المشهد التالى لأقاطعه وقد بلغ الإحباط مبلغه

- يا أستاذ يوسف أنا شرحت لحضرتك من شوية المطلوب ، بس واضح أنك مش مركز

خلع عن رأسه قبعته القماشية التى يرتديها أي مخرج كماركة معتمدة ليصيح مستعرضًا

- أكيد يا أستاذ مش مركز ، أنا مش فاضى للكلام ده وبعدين حضرتك عايز تشوف المشاهد المتصورة كلها ، وده مش من حقك ونا أعمالى لا يمكن ، لا يمكن ، لايمكن تانى ، حد يدخل فيها ، سواء الرقابة أو حتى الجن الأزرق

ثم اشاح بيده فى وجهي باستهزاء

- أرجوك متعطلنيش أنا نولان مصر

***

فى غرفة جانبية بالباخرة أجلس مع دارين امام شاشة صغيرة ويثلثنا منصور ، منصور هو الريجيسير المسئول عن إحضار وتجهيز الكومبارس رجل تخطى الخمسين من عمره ، لكنه يصر على أنه لم يزل في الثلاثين ، متوسط الطول يرتدى بنطال جينز وقميص مشجر ضيق مُزق زره العلوي ، يُمسك بعلبة سجائر وثلاث هواتف هم كل ثروته كما أخبرنا ، يُقسم أن لديه أرقام

جميع الممثلين حتى من توفى منهم ، تنساب خصلة من شعره المصبوغ أمام عينيه لم يتوقف لحظة عن رفعها إلى رأسه بتلذذ غريب .

من خلفنا يقوم أحدهم بتضميد جراح (نولان) مصر وهو يسب ويتوعد، لم ألقِ له أذنا وشرحت للمرة الثالثة وهى الأولى بالنسبة لمنصور المطلوب ، فى البداية سألته إن كان يعلم أى معلومة تخص القتيلين خالد وفهمى لكنه أجاب بالنفى مؤكدًا أن لديه من الكومبارس ما يتخطى الآلاف ، طالبته بعرض المشاهد التى اشترك فى تصويرها كلاهما ليخبرنى فى البداية أن الأمر ليس باليُسر المتوقع ، لكن بالبحث فى مدونته الخاصة استطعنا التوصل لخمسة أيام شارك فيها الاثنان تصوير بعض مشاهد الفيلم بإجمالى خمس وعشرين مشهدًا ثم سألنى

- طب احنا بندور على أيه يا سعادة الباشا ؟

نظرت دارين إلى وكأنها تخبرنى أنه بالفعل سؤالٌ جيد

عما نبحث بالتحديد ؟

وددت لو اخبرهما أنى بالفعل لا أعرف عما نبحث تحديدًا ، وبثقة مفتعلة طالبته ببدء عرض المشاهد فقط دون أسئلة ..

أنا هنا لأسْأل لا لأُسأل

***

كلاكيت نهر الخوخ مشهد 12 أول مرة ..

يظهر الممثل ممدوح البنا واقفًا فى مواجهة ممثلة شابة لا أعرفها وهم يتحدثان عن ثورة يناير المجيدة وكيف أنه كضابط شرطى قد تعرض لظلم

بيّن لاتهامه بالفساد وسط زُمرة من بعض زملائة الفاسدين ، وأنه كان يتمنى لو استطاع فى يوم من الأيام التضحية بروحه من أجل حفنة من تراب هذا الوطن ووو..

تبًا ، هذا الفيلم يحمل شحنة ضخمة من الوطنية الزائفة تصل لحد السخافة ، والأدهى أن كل حرف يُنطق بافتعال واضح للأصم

كيف تم اختيار هؤلاء الممثلين للقيام بدور كهذا !!

قررت إغماض عينى النقدية لبرهة وإطلاق عين رجل الأمن للبحث عن أى طرف خيط ، لكن سرعان ما أصابنى الملل مرة أخرى ، دسست سيجارة في فمي واشعلتها ، ثم أخرجت قلمًا من جيبى وسحبت ورقة بيضاء كبيرة وشرعت فى تدوين النقاط الرئيسية وترتيب أفكارى مرة أخرى ، وعلى أية حال تركت دارين تتابع المشاهد المعروضة

كلاكيت نهر الخوخ مشهد 7 تالت مرة

لدينا جرائم قتل تتعلق بقاتل متسلسل والهدف غير معلوم حتى لحظتنا تلك، أسلوب قتله ثابت ، يختار أماكن عامة لتنفيذ جرائمه ، يطعن الضحية التى ينتقيها بعشوائية ، على ما يبدو لى ، بسكين مزخرف محفور عليه جملة " حرر قيد الفراشة " مقبض السكين وفقًا لتقرير المعمل الجنائى مطلي بمادة مجهولة المصدر تحول دون طبع بصمات اليد ، بصمة عرق الضحايا تشير لإفراز كمية ضخمة من العرق قبل حتى وقوع الجريمة بساعة على الأقل

أمام آخر ملحوظتين رسمت علامة استفهام ضخمة ثم أطلت النظر للكلمات بحثًا عن مصدر الانزعاج الذي أصابني بغتة

" لو كنت بس ساعتها عارف أن دى المرة الأخيرة "

قطع رنين هاتفى تسلسل أفكارى ، أجبت لأجد علي يطمئن أخبرنى أن والدته وحبيبة زاراه اليوم وقضيا معه يومه ، وكم أسعده ذلك وكالعادة طالبنى بالعودة مبكرًا ، أنهيت الاتصال لأتابع مايعرض على الشاشة وبالكاد تمكنت من تمييز خالد يقف فى خلفية المشهد وهو يتظاهر بالتحدث مع فتاه لإضفاء روح من الرومانسية على المشهد .

***

دلفت إلى دورة مياه عمومية خارج الباخرة ، فأفعمت الرائحة أنفي المسكين وكدت أن أتراجع عن الأمر برمته لولا أن لفت انتباهى الشتائم المبدعة التى خُطت على الحائط ، ربما أصبحنا مؤخرًا الأكثر ابتكارا للسفه ، فما آراه حقًا مذهلًا بما تحمل الكلمة من معنى ، انتهيت من القراءة لأجدنى قد أفرغت مثانتى بالفعل ، وعدت أضحك من سخرية الموقف ..

وجدت دارين قد غادرت الغرفة لتقف مستندة على أحد الأسوار الأمامية فى مقدمة الباخرة شاردة تنظر إلى انعكاس قرص الشمس الأصفر الدامى وقد أوشك على الغروب من فرض قبضته على السماء ، كان فريق التصوير فى راحة لمدة ساعتين بأمر من مساعد المخرج حتى يتسنى لهم استكمال العمل وليستعيد (نولان) مصر تركيزة ووعيه بعد عدة لكمات غادرت قبضتى دون وعي منى لتستقر بين عينيه تمامًا

أين مني مجلس أنت به .. فتنةٌ تمت سناء وسنى

وأنا حبٌ وقلبٌ هائمُ .. وخيالٌ حائرٌ منك دنا

ومن الشوق رسولٌ بيننا .. ونديمٌ قدم الكأس لنا

يتسلل إلى مسامعى صوت أم كلثوم ينبعث من إحدى المراكب النيلية و كأنها تغنى لى وحدى ، صوت أم كلثوم أفضل وسيلة لتحضير الأرواح الغائبة، تذكرت والدى رحمه الله كم كان يعشقها ، وقفت لثوان معدودة أصغى ثم اقتربت من دارين لأسألها عن سر شرودها وخاصة إنها لا تمسك بهاتفها كعادتها ، أجابت بأنها ملّت حياتها وادعائها أنها بخير ، أخبرتها أن الإدعاء فى تلك الحالة أمر إيجابى يتحول تدريجيًا الى واقع

بس التظاهر بالسعادة مؤلم أكتر من الحزن نفسه

- واللي معندوش حل تانى ؟!

ياحبيبي كل شيء بقضاء .. ما بأيدينا خلقنا تعساء

ربما تجمعنا أقدارنا .. ذات يوم بعدما عز اللقاء

فإذا أنكر خل خله .. وتلاقينا لقاء الغرباء

ومضى كل إلى غايته .. لاتقل شئنا فإن الحظَّ شاء

زفرت لتدير دفة الحوار

- هنعمل أيه ؟ بقالنا 3 ساعات بنتفرج على مشاهد ومقدرناش نوصل لحاجة
- أنتِ شايفة أيه ؟

ضيقت عينيها وقد دست ابهامها الأيمن بين شفتيها

- نزرع واحد بينهم ... بس مين ؟!!

***

حاتم أحمد عبدالمنعم الصواف

يعمل صحفي كما ذكرت من قبل ، يبلغ من العمر تسع وعشرين عامًا متوسط الطول ، قمحى البشرة ، العينين سوداوين ، وكذلك شعره المجعد الأشعث بعد الانقطاع عن قصه لفترة بعيدة يجلس الآن فى غرفته ضامًا ركبتيه إلى صدره وهو يطوقهما بذراعيه ، بينما يدفن وجهه الحليق دومًا ـ بفعل طبيعته الوراثية عن أبيه ـ بينهما ، الناظر إليه لا يدرى إن كان نائمًا أم مستيقظًا فى وضعه المتصلب هذا ، من خلال بصيص أشعة الشمس الذى تسلل من بين خصاص النافذة الخشبية المتآكلة يمكنك لمح محتويات غرفته الملقاة بعشوائية ، قميص مفرود الذراعين يتوسط أرضية الغرفة يخفى أسفله زوج من الجوارب كان دومًا صالحًا للاستخدام الآدمى ، ومكتب خشبى كُفن بطبقات الأتربة ، وساعة معلقة على الحائط تصدر تكتكة كصوت اليأس ذاته ، تشير إلى السابعة صباحًا ، ينسل من الخارج صوت عصافير مشرقة لا تجد طريقًا لأذنه المحبطة ، وجلبة أطفال فى سبيلها إلى مدرسة قريبة .

يقطع كل ذلك صوت طرقات متوجسة على باب الغرفة ، ليجيب حاتم دون أن يرفع رأسه

- أنا صحيت يا ماما خلاص

وهى كذبة كل صباح ، فهو لم ينم منذ مايقرب الأسبوع ، ينهض متكاسلا يلتقط قميصه ويزحف بتململ داخل بنطاله ، يرتدى حذائة المغبّر ثم يتذكّر أمرًا هامًا فينحني ليلتقط جواربه فيدسها فى جيبه ويغادر المنزل

الوحدة تجعلك تمارس الأشياء بالطريقة الأصعب والأبطأ لقتل الوقت ، فليس لديك سواه ، لذلك كان يهيم سائرًا ما يقرب من الكيلومترين حتى يصل الى محطة مترو عزبة النخل ، يقف أمام شباك التذاكر ثم يدس يديه فى جيوبه الخاوية جميعها فلا يجد جنيها ينقذه من مهمته الانتحارية اليومية، يمط شفتيه امتعاضًا

(لا مفر إذا) ..

يستمر فى وضع الوقوف ثابتًا ولكن مسلطًا عينيه على قضبان السكة الحديدية تلك المرة ، يسمع هدير المترو يقترب فتنقبض قبضتاه استعدادًا ، تتحفز خلايا جسده جميعها وتحتشد قطرات العرق فوق جبينه ، تلوح مقدمة المترو وهو يقترب مسرعًا ثم يبطئ على مهل حتى يتوقف تمامًا

تفتح الأبواب

تتدافع حشود من البشر بين مستقل ومغادر

تنطلق صافرة تنذر بغلق الأبواب

يستقبلها جهازه العصبى كإشارة انطلاق ، هنا يطلق العنان لقدميه ويعدو مسرعًا ليعبر الحواجز الحديدية فى طريقه للحاق بعربة المترو قبل أن يغلق أبوابه ، يقفز داخله فى اللحظة الأخيرة ويعود لينظر من خلال زجاج البابين إلى العسكرى الذى يلاحقه ، فلا يجد أحدًا تحرك من مكانه قيد

أنمُلة، يعود ليحشر جسده بين الحشود الواقفة فى انتظار المقعد الشاغر التالى ثم يلقى بجسده عليه ويغط فى نوم عميق لايقطعه سوى تنبيهات بعض الركاب المنذرة باقتراب محطته المحتملة ، فيومئ برأسه شاكرًا ثم يغرق مرة أخرى فى نومه ويظل مسافرًا على خط سير المترو ذهابًا وإيابًا وحتى الرابعة عصرًا ثم يغادر محطة المترو ويعود للمنزل بالطريقة ذاتها

***

فى منزل حاتم بغرفته الأقرب لقبر خرب .. لم يكن هذا حاتم الذى قابلناه فى قهوة البورصة من قبل ، ما أراه أمامى الآن هو شخص أشعث الرأس رث الثياب ، فقد نظارته الطبية وفيما يبدو أن هذا الامر لا يعنيه كثيرًا، وربما لم يلحظ هو ذاته فقدانها ، يجلس أمامى فاغر الفم ، زائغ العينين بجسد ازداد نحولًا على نحول ، يستقبل كلامنا ويرسل حروفه باقتضاب ، كان اختياره لزرعه وسط المحيط السينمائى المشكوك فى أمره بناءًا على ترشيح من دارين الأمر الذى رجحته بعد طول تفكير، فقد كانت على جانب كبير من الصواب ، كان من الممكن زرع رجل أمنى يتم اختياره بعنايه من الإدارة ، لكنه لم يكن ليقوم بدوره على أكمل وجه مثل حاتم الطامح لتثبيت حبره على ورق مستقبله المهني ، فالصحفي لديه ملكة استحلاب المعلومات والتفاصيل من أفواه البشر سواء كانت هامة أو تافهة، الأمر الثاني هو حالته الرثة التي تعلن عن فقر مدقع لن تدع مجالًا للشك في شخصه ،نعم هو الأنسب لتلك المهمة بالتأكيد ، لكن يتبقى أمر هام ألا وهو تأهيل نفسى ومعنوى قبل كل شىء ، عملية إزالة لصدأ اليأس والإحباط اللذان كسى روحه ، وكان هذا دور دارين وقد قامت به على أكمل وجه ، بضع عبارات تشجيع وقليل من مبادئ التنمية البشرية المتداولة ، استطعنا

بقليل من الجهد تحفيز قوته المثبطة وتحريك مركب عزيمته الراسية فى نهر يأسه الآسن، اصطحبناه فى صباح اليوم التالى وقدمناه لمنصور ريجيسير العمل كشاب يحتاج لفرصة تساعده على المعيشة

وكم كنا صادقين فى هذا الأمر فعلًا ، لكن كان دور حاتم المتفق عليه هو الانغماس فى ذلك الوسط تمامًا مع مراقبة وتسجيل أى أمر ملفت أو فعل غريب يصدر من أحدهم وإخبارنا به فورًا ، لدى يقين أن نقطة انطلاقنا من هذا المكان ، وأن أول طريق لفك طلاسم تلك القضية يبدأ من هنا ، لم نتركه إلا بعد أن تأكدنا من استعداده التام ، لمحنا نظرة التحدى والإصرار يشتعل وهجهما مرة أخرى فى عينيه .

ولم أنس قبل انصرافى أن أطلب من منصور إيصال تحياتى للمخرج العبقرى " نولان مصر "

***

لم يكن حاتم يعلم يقينًا ماذا عليه أن يفعل فى المهمة التى وكلت إليه ، خاصة أنه لا يحيط بجوانب القضية منذ البداية ، لم أخبره بأية تفاصيل ولا مبررات لاختياره دون غيره ، لدرجة أنه كانت تساوره بعض الأحيان شكوك حول أن تلك المهمة ليست سوى هبة مغلفة فى علبة أنيقة يواجه بها ضنك عيشه ، فليس من المعقول أن يتم اختياره وترك من هم أدرى خبرة منه أو أحد رجال الشرطة المدربين على ذلك .

كنت أرى كل تلك الشكوك فى عينيه ، لكن أبدًا لم يجرؤ على التفوه بها، فحتى لو كانت كل هواجسه السابقة فى محلها ليس أمامه سوى أن يقبل، خاصة بعد أن منحته مبلغًا ماليًا أعاد له الحياه مرة أخرى ، سيروى

عطشه من البئر أولًا ثم يتقصى عن مدى صلاحية الماء من عدمه ، في النهاية اعتبر المبلغ المدفوع بدل طبيعة عمل أو بدل مخاطر ، وارتاح ضميره لهذا الاعتبار

لذلك أراه استيقظ ذلك الصباح باكرًا وقصد إحدى المحال التجارية الشهيرة ليبتاع ملابس وحذاء جديدة ويتأهب لأول يوم تصوير فعلي ، بعد أن اتصل به منصور الريجيسير ليطلب حضوره فى تمام الثانية ظهرًا فى الجامعة الأمريكية لتصوير مشهد، وطالبه بانتقاء من الملابس ماينا سب طالب جامعي

عاد لمنزله ، خلع عنه ملابسه القديمة ، وبعد أن استحم وارتدى ما اشتراه ألقى نظرة أخيرة على المرآة ، ولما لاحت ابتسامة إعجاب خاطفة على وجهه أدرك أنه أصبح جاهزًا .

***

الجامعة الأمريكية
الساعة الثانية ظهرًا

اجتاز حاتم بوابة الجامعة بعد أن استوقفة مسئول الأمن وطابق اسمه بكشف مُعد مسبقًا بأسماء أفراد طاقم التصوير بالكامل ، وصل إلى إحدى قاعات التدريس ؛ ليجد أفراد الكومبارس قد رُصوا على مقاعد حمراء وثيرة تشبه مقاعد قاعات السينما ، بينما كانت تقف " هنا " بطلة العمل على مدرج التدريس الرئيسى تنظر تجاه الجالسين من الكومبارس كطلبة جامعة ، بينما تولى ظهرها للكاميرا المثبتة خلفها لتلتقط صورة جامعة للقاعة بالكامل، تصاعدت همسات متقاطعة بين الكومبارس بعضهم البعض قطعتها صيحة

سكوووت

صدرت من أحد مساعدى المخرج ، يُلقب ب " ميمى " يرتدى بنطال جينز أزرق يلتصق بجسده وقميص مشجر تعمد عدم ربط أزراره العلوية ، ومن خلف رأسه تأرجحت حزمة من شعره كذيل حصان وهو يستطرد بعد أن ساد الهدوء القاعة

- اتفضل يا أستاذ

دخل المخرج فى خيلاء ثم صعد المدرج ليقف بجانب " هنا " عاقدًا كفيه خلف ظهره فى صمت كمن على وشك أن يلقى خطبة مصيرية

- مجرد ماتخلص الأستاذة " هنا " كلامها هنقف كلنا ونحييها بحرارة وابتسامة إعجاب

استرسل فى شرحه للمشهد فى حين أشار ميمى لحاتم الواقف كى ينضم للجالسين ، اتخذ أحد المقاعد القريبة ليجلس عليه ، لاحظ وجود بعض الوجوه الأجنبية وهو أمر منطقى بالطبع ، وبعد أن انتهى المخرج من كلامة أعاده مرة أخرى بالإنجليزية ثم آكشن

فيدخل رجل الكلاكيت صائحًا

(كلاكيت نهر الخوخ مشهد 6 أول مرة)

طرااااااك

القت " هنا " خطبة وطنية حارة وهى تدعى التأثر ومحاولة كبح جماح دموعها الغزيرة ثم أنهتها بصيحة " تحيا مصر .... تحيا مصر "

فهب الجالسين فى تصفيق حاد بينما اكتفى حاتم برسم ابتسامة على وجهه .

- ستووووووب

أطلقها المخرج فى غضب

- ميمى

هرع ميمى إليه مسرعًا وهو يمسك بسكريبت المشهد

- أؤمر يا أستاذ
- مش أنا شرحت المشهد وقلت هنعمل أيه بالظبط ؟!
- حصل يا أستاذ
- طب البيه اللى قاعد هناك ده متحركش ليه من مكانه ؟

اقترب ميمى من وجه حاتم معنفًا

- يا ريت تركز مع الأستاذ علشان كل مشهد بنصوره بيعتبر ماسترسين فى السينما العالمية كلها ...

أصر على نطق آخر كلمة بصوت جهوري قبل أن يردف

- أول ما الأستاذة هنا تخلص كلامها هنقف مبتسمين ونصفقلها ، تمام ؟ فهمت ؟!
- جته القرف
- بتقول أيه ؟!

obeikan.com

- بقول ليا الشرف .. إنى أنفذ كلام الأستاذ .. خلاص فهمت

ثم التفت بحزم تلميذ لأستاذه

- كله تمام ياريس اتفضل

كلاكيت نهر الخوخ مشهد 6 تانى مرة

طرااااااك

آكشن

تحيا مصر .. تحيا مصر

تصفيق حاد فى حين فزع حاتم من مقعده يصفق مهللًا

- يا دين النبى ، الله أكبر ، أيه الحلاوة دى ؟
- ستوووووووب

اطلع برة ... برررررررة

***

السابعة مساء
الأمريكين كوفى شوف

أجلس على منضدة خشبية فى ركن قاص ، أستمع لموسيقى تدغدغ حواسى جميعها وأنا أرتشف قهوتى الداكنة ، بينما ترسل سيجارتى القابعة فى مطفأة زجاجية دخانها الأبيض لينتشر حولى لثوانى قبل أن يصطدم

obeikan.com

بزجاج تصدّر لحجب ضجيج أبواق سيارات بالخارج ، أنا وقهوتى وسيجارتى فى انتظار دارين طالبتها بالحضور بعد أن حادثنى حاتم بطلب مقابلتى لإخبارى بآخر المستجدات ، وصلت فى موعدها تمامًا كعادتها ، جلست وطلبت نسكافيه .

لم تمر دقائق إلا وكان حاتم منضمًا إلينا ، طلب كوبًا من الشاى ثم حكى لنا ملخص يومه ، بعد أن طرده المخرج خارج القاعة ، خرج غاضبًا ليقابل منصور ريجيسير العمل بوجه متجهم متسائلًا :

- أيه اللى عملته ده ؟!
- ما هو مُخرج مستفز و...
- ملكش دعوة مستفز ولا ومتخلف ، أنت جاى تاكل عيش ولا جاى تقيمه ؟

ثم بلهجة مهددة

- بأسلوبك ده مش هتطول معايا ، أنا شغلتك علشان خاطر أسامة بيه

قالها وانصرف تاركًا حاتم بوجه ممتقع ، ليخرج الأخير علبة سجائره ويرتكن لأحد النوافذ تطل على صدر الجامعه مفكرًا ، هل تسرع فى رد فعله ؟

هل كان من المفترض أن يتصرف بحنكة أكثر من ذلك ؟

- مرهبًا

التفت ليجد أحدهم يقترب منه مادًا يده لمصافحته تردد قليلًا ثم نقل سيجارته المشتعلة من يده اليمنى إلى اليسرى ثم صافحه بابتسامة خفيفة ووجد نفسه تلقائيًا يرد

- مرحبًا
- أنا اليكسى آرسين
- أنا حاتم الصواف

بابتسامة

- مرهبًا مستر هاتم ، أنا سعيد بمقابلتك
- شكرًا
- أراك غاضبًا ، أرجو أن تكون بخير
- لا عادى
- إن كان هناك ما يضايقك أرجو أن تخبرنى به ، أنا لدى الكثير من الأصدقاء المصريين
- انا كويس مفيش مشكلة

فى البداية فكر حاتم فى كيفية التخلص من هذا المزعج ، كان جل ما يعصف بفكره هو كيفية إصلاح ما أفسده والعودة مرة أخرى لقاعة االتصوير ، أدار الأمر فى رأسه مجددًا عدة مرات حتى استقر على فكرة .

- أنت بتصور معانا فى الفيلم ده ؟

- نعم أنا أمارس مهنة التمثيل منذ صغرى ، سمانى والدى باسم اليكسى تيمنًا باليكسى سيريبرياكوف الممثل الروسى الشهير ، تعرفه بالطبع ! هه ؟
- فى الحقيقة لا
- الحَمق داء العصر
- نعم ؟!
- مقولته الشهيرة ، ألم تسمعها من قبل ؟
- لا ، قولى أنت برة بتعمل أيه ؟
- أنا منتظر دخولى مع زملائى للمشهد القادم

ثم أشار لفتاتين شقراوتين تجلسان فى صمت أحدهما ترتدى تيشيرت أبيض مفتوح من أعلى ومطبوع عليه علامة استفهام حمراء كبيرة ، وبنطال جينز يلتصق بجسدها ، تضع ساقًا فوق الأخرى وتمسك سيجارًا رفيعًا بينما الأخرى تحمل كتابًا يبدو من اسمه روسى اللغة ، ترتدى بنطال قماشى أحمر وبلوزة زرقاء وتلوك بفمها علكة ومن خلفهما يجلس ما يقرب من خمسة أشخاص ، قرر حاتم الاختباء بينهم أثناء دخولهم لتصوير المشهد القادم والانصهار بين الكومبارس مجددًا على أن يجلس فى مؤخرة القاعة حتى لا يراه المخرج ويطرده مرة أخرى ، ولحين حدوث ذلك قرر مجاراته فى الحديث لقتل الوقت .

اليكسى آرسين ، شاب روسى الجنسية يبلغ من العمر خمسة وثلاثين عامًا ، يعيش فى مصر منذ ما يقرب من العشر سنوات جاء وسط طاقم طبى حضر لمصر كمنحة دراسية ، اعتاد على الحياه الآمنه . على حد قوله . فى مصر ليعيش ويستقر بها كعادة بعض الروسيين ، أتقن اللغة العربية ، فشل فى

تقبل العامية بينما يجيد استخدام الفصحى ، لغة الجرائد والمجلات التى يحرص على اقتنائها ومتابعتها ، حدثه اليكسي عن الراقصة صافينار كفنانة مصرية أصيلة ، كاد حاتم أن يصحح له المعلومة ثم تراجع فما كان بصدد التحدث عن مجدى يعقوب على أية حال .

أخبرنى حاتم أنه لم يرتح إليه كثيرًا ، شخصية غامضة وودودة على نحو مبالغ فيه ، ونحن كمصريين نخشى الودودين ، فما عاد للرفق واللين وجود في قواميسنا الحياتية منذ فترة بعيدة ، الأمر الذى وصفه بالمريب فطالبته بأن يتحلى بالمزيد فى الحنكة والصبر ، فالطريق ما زال فى بدايته ، شكرنى على المشروب ثم انصرف وأخرجت ورقة لتدوين ما قال لمراجعته فى وقت لاحق ، بعد ثلث الساعة أدركت أننا ــ دارين و أنا ــ لم نتبادل كلمة على الأطلاق ، فقررت قطع حبل صمتنا

- شايفة أيه ؟

مطت شفتيها وهى تعدل من خصلة شعرها

- زى ماقلت ، الموضوع شكله هيطول

حدقتنى بنظرة غريبة ثم

- بتفكر فى أيه ؟

وكأنى كنت أنتظر سؤالها هذا ، أنا بالفعل أفكر فى أمر ما ، أفكر فى اللحظة التى أنهى فيها تلك القضية ، سوف أعتزل العمل نهائيا ، ثم أسافر لمكان قصى ، لا أحد يعرفنى ولا أعرف أحدًا ، سأحطم هاتفى ، وأقطع كل صلاتى بالكون الخارجى ، سأجلس و أشاهد ذلك الكون وهو يشتعل احتراقًا

بنار الكره والحقد والمادة القبيحة ، سأنتظر نهايتى ولن أفر منها كما يفعل الآخرون ، سأهرع إليها حتى قبل أن تفعل هى والابتسامة تعلو ثغرى ، لكن جل ما أخشاه حقًا ... أن أقابل خالقى ولا يقبل شكواى المؤجلة لعمرى كله ، يارحمانى أنت الأعلم بأنى لم أذق هناءًا قط ، فلا تحرمنيه ولو ليوم فى جنتك الواسعة .

رقت وهى تدنو مني

- أنت متضايق أوى
- لا عادى ، بس الواحد جواه شحنة بيخرجها كل فين وفين
- الكلام ده مايخرجش غير من واحد شايل هموم الدنيا كلها ، جربت تغير روتين حياتك ؟
- معنديش وقت أغيره
- الوقت ده حجة إحنا بنتحجج بيها علشان بس بنخاف نجرب ، لكن اللى عايز يعمل حاجة هيخلقْلها الوقت بأى طريقة ، قوم بينا
- على فين ؟

***

فاصنع بنفسك ما تشاء

اخلع قميصك أو حذاءك إن أردت، فأنت

منسي وحر في خيالك، ليس لاسمك

أو لوجهك هاهنا عمل ضروريٌ. تكون

كما تكون ... فلا صديق ولا عدو

يراقب هنا ذكرياتك

(محمود درويش)

***

فى عالم موازٍ آخر ، وفى ظروف كونية أخرى ، قد يحدث ذلك ، لكن لم أتصور أبدًا أن يأتى يوم وأصطحب فيه زميلة عمل لدار السينما ، الغريب فى الأمر حقًا أنى لم أقاوم أو حتى أبدى اعتراضًا ، وجدتنى أنصاع لها و أتبعها كالمسحور دون (لكن) واحدة ..

فى خضم عملى على مدار السنين الفائتة محى من ذاكرتى هذا العالم الماتع ، واستعدت تفاصيله ما إن خطت قدمى السجادة الحمراء الممتدة هبوطًا بطول القاعة المظلمة باستثناء بعض الإضاءة الخافتة المنبعثة على جانبى الممر الأرضى حتى أشار دليلنا على مقاعدنا المحجوزة ، نقدته بقشيشًا ليرحل بإيماءة شكر، أنا أحب السينما ، فأنا أحب النظام ؛ لأنه أول خطوات النجاح ، حياتنا يجب أن تكون كتلك القاعة المظلمة المبهرة ، لا تتوقف على بكاء طفل أو مرض أحدهم ، يغادرها من أصابه تعب مفاجيء ويخرج منها الطفل الباكي دون أن يتعطل عملها ولو لثانية واحدة ، جلسنا على مقاعد وثيرة حمراء فى انتظار بدء عرض الفيلم ، تنبعث موسيقى هادئة فى مكان ما تتخللها صوت لَوْكٌ الفشار و همهمات وضحكات مكتومة لبعض الرواد الجالسين من خلفنا ، تسلل خدر ناشٍ إلى جسدى زال بمجرد أن أضاءت الشاشة البيضاء إعلانا ببدء العرض ، تتابعت الإعلانات ، استرقت النظر عن

يمينى لألمح شبح ابتسامة على وجه دارين وهى تتابع ما يُعرض وحجري عينيها يعكسان ومض وخفوت الشاشة ، كان إعادة عرض لفيلم (The Pursuit of Happyness) ، هذا الفيلم والحق يقال كان جرعة مركزة من التفاؤل ، ذكرت جملة على لسان بطلها لم أنسها ، قال (الحياة ليست عدد ما تخرجه من أنفاس ، بل هي تلك اللحظات التي تخطف أنفاسك) ، بعد ساعة انسللت بهدوء مغادرًا قاعة السينما لدخول دورة المياه ، كانت خالية تمامًا ، باردة كمشرحة ، ثمة صوت قطرات تحطم الأعصاب ، أنهيت غرضي و أثناء غسل يدي ، لمحتُ فى المرآة قدمين تتحركان أسفل فرجة أحد الأبواب ، لم يدهشنى أنهما يتحركان يمنة ويسرة فى تتابع ثابت وموزون بصوت حفيف مزعج ، ولم يستوقفني أن زوج الحذاء غير متطابق اللون أو حتى الشكل ، لكن ما أزعجنى حقًا حين أدركته ..

أن الحذاء ينتمي لأنثى

دنوت فى تؤدة من الباب وبطرقة خافتة توقفت الحركة وانقطع الحفيف ، همست لها أن هذه الدورة تخص الرجال وأنها قطعًا جاءت إليها بالخطأ ، لكن لم يصدر عنها رد ، ثم ...

انفتح الباب بعنف مصدرا دويًا هائلًا لأجد سيدة عجوز تقف أمامى وتحدقني بغضب من خلال عوينات محطمة الزجاج ، مددت يدى لمساعدتها لكنها انتفضت فى خوف وأغلقت الباب مرة أخرى ، دخل عامل نظافة متجها إلى الباب بتلقائية ليفتحة ، سارعت لأمنعه لكن تصلبت يدي فى اللحظة التى سبقتنى يده لتدفع الباب كاشفة عن دورة مياه خالية ، نعم خالية من امرأة عجوز ترتدى عوينات محطمة وزوج حذاء غير متطابق اللون والشكل

***

كان (على) يبلغ من العمر 10 سنوات حين اصطحبته الى طبيب نفسى حيث كان يمر بأزمة غريبة من نوعها ، كان إذا مر بموقف نفسى صعب أو حتى تعرض لبعض الضيق ، يدخل إلى المطبخ ويجلس وحيدًا فى الظلام ويبكي، عندما لاحظت ذلك أول مرة خلته مجرد صدفة ، لكن مع تكرار الأمر عدة مرات أيقنت أن هناك مشكلة ما ، وبعد أن حكيت لأحد الزملاء المقربين إلى ، نصحنى بالتوجه إلى طبيب نفسى واستشارته ، كان تشخيص الطبيب أن فعله هذا مجرد هروب من واقعه إلى مكان يمثل أمه فى عقله الباطن ، نصحنى بإرساله للعيش مع أمه ، لكنى للأسف رفضت تلك النصيحة تمامًا ، يكفى أنها سلبتنى إياكِ يا صغيرتى العزيزة ..

أسمعك تتهمينى بالأنانية ، لكِ كل الحق فى ذلك بالطبع ، لكن العند يولد الكفر كما يقولون ، ونحن إناس شرقيون لا نجيد فن الانفصال برقى ، لابد أن تنتهى علاقاتنا بأذى دائمًا ، وليته يشملنا نحن فقط ، لكنه يطال أبرياء لا ذنب لهم سوى أن أبويهم مجرد أغبياء حمقى ، تذكرت هذا الموقف وأنا أجلس أمام طبيب نفسى صديق شخصى لدارين ، اصطحبتنى إليه بعد أن حكيت لها عن ما أراه من تهيؤات فى الفترة الأخيرة ، الطبيب يدعى إياد المهر ، يبدو فى أواخر الأربعينيات ، تغزو بعض الشعيرات البيضاء شعره الأسود الكثيف ، أنيق الملبس بشكل ملفت ، يرتدى ساعة تعكس رقى ذوقه ، يملك عينين حادتين وأنف دقيق طويل ، يمسك بقلم مُذهب يلمع أسفل إضاءة الأباجورة الموضوعة على يساره وهو يكتب بعض الملاحظات بينما راحت يسراه تعبث بلحيته الدقيقة المحددة تجولت بعينيي في أرجاء الغرفة الواسعة ، الغرفة مقسمة إلى جزئين يفصل بينهما نافذة زجاجية ضخمة ، من خلفها تراصت أجهزة ومعدات ضخمة لا أفهم منها شيئًا ، تحتوي على آلاف الأزرار والمؤشرات المضيئة ، تومض في تتابع واضطراب وأرقام تتغير

وتثبت دون كلل ، رفع عينيه دون أن يحرك رأسه ليرمقنى من خلال زجاج نظارته التى أضافت على وسامته رهبة ، تلك الرهبة غير المبررة التى تنبع من الأطباء النفسين تجعلك تعترف بكل مشاكلك النفسية عن طيب خاطر ، وضع القلم ثم ضم قبضتيه وبابتسامة مُطمئنة سألنى ممَّا أشكو ؟ أخبرته بكل الأعراض التى أمر بها مؤخرًا ، حكيت له تفصيلًا أوهامى التى أراها دون مبرر سألنى عدة أسئلة بديهية يمكن لحاصل على دبلوم صنايع توقعها ، أجبته موحيًا له بمدى عبقرية أسئلته ، خط أسماء لعدة أدوية فى روشته أنيقة بيضاء وبابتسامة ثقة أخبرنى أن الأمر لا يعدو أكثر من إرهاق ثم طالبنى بالأمر المنطقى الوحيد الذى أميل له واحتاجه جدًا: راحة لفترة قصيرة والبعد قليلًا عن المحيط المألوف

قطع كلامة صوت رنين هاتفى لتغزو ملامحه أكثر تعابير دهشة قد تراها فى حياتك وكأن هذا الاختراع لم يصل إليه بعد ، ثم تحولت تلك التعابير تدريجيًا لبلاهة عجيبة كمن يرى ظاهرة خارقة أمامه ، من المؤكد أن هذا الطبيب مختل عقليًا ، أسمع أن أغلب الأطباء النفسيين مرضى ، أجبت الهاتف لأسمع صوت على يخبرنى إنه فى انتظاري لإخبارى بأمرٍ هام ، شكرت الطبيب وهممت بالانصراف

***

- عملت أيه مع الدكتور ؟

سألتنى دارين والقلق يشع من عينيها

- كتب لى شوية أدوية وقالى مجرد إرهاق بس انتى واثقه فى الدكتور ده ؟

هزت رأسها مستفسرة ، لأخبرها عن نظراته الغريبة وتصرفه الأخير الأكثر غرابة ، أجابت بأن الأمر طبيعى ولايوجد ما يدعو لقلقي ، تقبّلت ردها عازمًا على عدم العودة مرة أخرى لذلك الطبيب غريب الأطوار ، أخبرتها أن على الانصراف حتى الحق بعلي ابنى قبل أن ينام ولمحت نظرات تردّد فى عينيها قبل أن تطلب منى أمرًا لم أتوقعه

- ممكن آجى معاك أشوفه ؟

***

طوال الطريق إلى المنزل لاذت دارين بالصمت المطبق ، كأن شيئًا ما ينهك رأسها تفكيرًا وكان صمتها هذا مستجدًا على علاقتنا قصيرة العمر ، كثيفة الأحداث ، ما كان يشغلنى وقتئذ أمر آخر تمامًا ، ليس قضيتنا المرهقة ولا زيارة الطبيب ، بل انصياعى لطلبها زيارة منزلى ، ومن قبله ، خضوعى لاقتراحها بالذهاب لطبيب نفسى بلا مقاومة أو حتى إبداء رأى ، كل ذلك يقلقنى إلى حد كبير

لا .. ليس كما تفكرين يا صغيرتى ، ليس حبًّا لكن أخشى أن تكون بوادر إعجاب ، ما اعتدت يومًا على خلط مشاعرى بحياتى العملية ، فذلك أول طريق سريع للفشل

إذا ماذا يحدث ؟ ولما ؟

بوصولنا توقفت أسئلة رأسى عن الضجيج وانسحبت بهدوء مع وعد وقح بالعودة مرة أخرى لاحقًا

يا ترى كيف سيكون انطباع (على) على زيارة دارين للمنزل خاصة أنه لم تطأ أقدام رقيقة منزلنا قط سوى قدم (رتيبة) الخادمة - إن اعتبرناها رقيقة بالطبع -

دلفنا إلى الداخل و أشرت لدارين بالجلوس فى حجرة الاستقبال ثم توجهت لمناداة على ، تبعنى للخارج لأقدم له دارين

- تعالى سلم على دكتورة دارين يا علي

نهضت دارين بابتسامة عريضة مادة يدها فى انتظار مصافحته لكنه ما إن رآها تبدّل وجهه تمامًا واستدار عائدًا لغرفته مرة أخرى

***

obeikan.com

obeikan.com

(الفصل الثانى)

وربما الأخير

يأسك وصبرك بين ايديك وانت حر

تيأس! ماتيأس.. الحياة راح تمر

أنا دقت من دة ومن دة وعجبي

لقيت الصبر مر وبرضه اليأس مر

جاهين ""

oberkan.com

كان الفجر جنينًا فى أحشاء السماء حين توقفت حبيبة عن القراءة ، عيناها تذرف دمعًا ، حتى تشوشت الرؤية وتلاطمت الكلمات ومادت الأرض من تحت قدميها ، استجمعت شتات أمرها ومسحت ماء وجهها ثم فتحت الأجندة الزرقاء مرة أخرى لتستكمل القراءة ، لاحظت تغير شكل الخط المكتوب لكنها تغاضت عن الأمر واعتصرت بكفيها دفتى الكتاب وحشدت كامل تركيزها على القراءة بغية الحصول على إجابة سؤالها الحائر كيف ؟

***

عزيزتى (حبيبة) فكرت مئات المرات قبل أن أُقدم على فعلتى تلك ، لكن الظروف جميعها كانت تدفعنى دفعًا إلى تنفيذها ، ودون تردد فعلت ، اسمحِى لى أن أستكمل ما بدأه أباكِ إيمانا منى بأنه حق مشروع لكِ أن تعلمي الحقيقة كاملة

لماذا استكملت مذكرات أبيكِ ؟

دعى ما تبقى من صفحات تجيبك على هذا السؤال

أنا دارين التى حدثكِ عنها والدك فى الصفحات السابقة ، كم اعتدت على كتابة التقارير العلمية والطبية بحكم عملى ، لكن لا أُخفى عليكِ أمرًا ، أكتب الآن وارتجافة يدى تعصر عقلى الحائر و تطعن قلبى الواهن بخناجر الخوف والرعب ..

فالمسئولية جسيمة والرسالة أبدية الصعوبة

***

الأمانة تحتم على الآن إخبارك بما فعلت ، لكن أوصيكي يا صغيرتى أن تستمرى فى الاعتقاد بأن أباكِ هو كاتب السطور القادمة أيضًا وتناسينى تمامًا، أما من جانبى فسأحاول أن أكمل ما بدأه وأدنو بقدر الإمكان من أسلوب سرده حتى لا تشعرى بالغربة

لن أطيل الحديث عن معلومات مكررة ذُكرت من قبل ، قابلت أباكِ فى ظروف عمل بحتة وكان انطباعى عنه يتلخص فى أربع نقاط

جاد ، ذكى ، يحب عمله و ..... مهموم دائمًا

رجل يحبكما ويعشق أفلام الكارتون من أجلكما ولايدرك أن (توم) هو القط و(جيري) الفأر ... هو فقط يحبهما من أجلكما

رجل يكتم أضعاف ما يتفوه به ، لم أهتم كثيرًا بما يخفيه فالعمل لا يأبه بأمزجة أصحابه ولا يعنينى إن كان كتومًا أو لا ، حكى لى مأساة حياته مع أمك ، كلامه أشار لليأس و الاستسلام لكن عينيه وشت ببؤس ورغبة فى العودة لحياته السابقة قبل أن ينفصل عنكما ، وبعد أن تقاربنا بتلك السرعة ، حتمَ على هذا التقارب التدخل بأى طريقة لمحاولة تضميد جراح الماضي الغائرة ، بعد تردد وتأرجح بين الإقدام والتراجع ، اتخذت قرارى وذهبت لمقابلة والدتك .. وليتنى ما فعلت

كنت فى صباح يوم أن قابلت أسامة فى كوفى شوب الأمريكين أجلس مع والدتك نرتشف الشاى فى منزلكم ، هل تذكرين يوم أن قدمتنى والدتك إليكِ كصديقة عزيزة منذ عهد الطفولة ، على أية حال ما كان لدينا وقتئذ حل آخر خاصة مع قرار والدتك الراسخ بكيانها على عدم تذكيرك أو مجرد العبور مرور الكرام على أى رابط يصلك بسيرة والدك ، يومها بعد مصافحتك استأذنتى

للخروج مع صديقاتك واتيحت الفرصة أمامى للتحدث مع والدتك بأريحية تامة ، الموقف صعب خاصة أننا لم نتقابل من قبل ، لكنى فى النهاية اتخذت القرار ولتكن العواقب كيفما تشاء ..

بدأت بالاعتذار عن تدخلى المباشر فى أمور لا تخصنى ، ثم شرعت دون شعور فى إلقاء نصائح تربوية تدور حول نفسية الأبناء المتباعدين عن أبويهم، وفى خضم حديثى قاطعتنى بنفاذ صبر

- إيه المطلوب منى ؟
- ليه ما تحاولوش تدوا فرصة لنفسكم وتلموا شمل الولاد من تانى وترجعوا ....
- ولاد مين ؟
- على وحبيبة ... ماهو مش منطقى اتنين توأم يعيشوا بعيد عن بعض بالشكل ده

هنا ارتسمت على ملامحها أعتى نظرات الدهشة ثم انكمشت جبهتها فى وجوم مستنكر، ترقرقرت عيناها ببطء وارتعش فمها كمن يقاوم البكاء ، وسرعان ما أطرقت رأسها و أجهشت فى نحيب مكتوم ، وضعتُ كوب الشاى واقتربتُ منها أربت على كتفها حتى هدأت تماما وعند سؤالها عن سر دهشتها وحزنها أجابتنى بأكبر رد صادم قد سمعته فى عمرى كله

- علشان حبيبة وحيدة من يوم ما على مات وهو عنده 5 سنين

***

استغرق الأمر ما يقرب النصف ساعة دون مبالغة وقد أذهلنى قولها و ألجم لسانى عن النطق تمامًا كمن مُحى من ذاكرته قاموس الأحرف والكلمات التى تعلمها على مدار عمره ثم استعدت أنفاسي مرة اخرى

- مات إزاى وهو ....
- علي وقع من الشباك وهو صغير وجاله شرخ فى الجمجمة وتوفى
- لا احكيلى بالتفصيل علشان أنا مش مُدركة أى حاجة حاليًا

كانت رواية أسامة عن سقوط على صحيحة تمامًا سوى من نقطة واحدة ، أن بسقوطة توفى فورًا رغم حمله ونقله إلى المستشفى فى محاولة فاشلة لإنقاذه ، لكن أمرًا كارثى كهذا كان أكبر من احتمال أسامة العقلى والنفسى ، انهار تمامًا وسقط فى غيبوبة لشهر كامل حتى استعاد وعيه وعادت مؤشراته الحيوية تعمل كما يرام مرة أخرى ، التزم بعدة أدوية ومضادات للاكتئاب لفترة ليست بالقصيرة ، مما تسبب فى إصابته بحالة من الانفصام ، رفض عقله تصديق وفاة ابنه ، فضل الإذعان إلى فكرة أنه مازال على قيد الحياة ، وأن ما حدث مجرد أمر عارض ليس أكثر ، عاش - أو لو تحرينا الدقة لقلنا - تعايش على هذا الوضع وفشلت جميع محاولات المقربين له في العلاج ، حتى قرروا الاستسلام للوضع عل الله يُحدث أمر .

لم تغفر له الأم فعلته أبدًا كما سبق وحذرته ..

- إن تأذى أحدهما يومًا .. أبدًا لن أغفر لك "

وحدث الانفصال

زادنى الأمر حيرة يفوق بؤسى

كيف لإنسان أن يعيش داخل كذبة كتلك ؟

بل كيف استطاع أن يخدع طبيبة محترفة فى مجالها مثلى ؟

ممن يتلقى اتصالاته ؟

فى مساء ذلك اليوم قررت استيضاح الحقيقة كاملة والبحث عن إجابات لتساؤلاتى جميعهن ، تحدثت مع أحد الأصدقاء المقربين يعمل طبيبًا نفسيًا والتمست مشورته ، أفاد بأن الحكم غيابيًا من المستحيل فى حالته تلك .

- خلينى أشوفه

ثم شدّد على عدم محاولة مواجهة المريض بمرضه فى البداية ، فقد يؤدى ذلك إلى تفاقم المشكلة تمامًا ، وتلك هى العُقدة ، قطع محادثتى مع الطبيب اتصال من أسامة يخبرنى فيه برغبته فى مقابلتى بالأمريكين

وهبط الحل السماوى

***

بعد انتهاء المقابلة اقترحت دخول السينما خاصة وأننى كنت أبحث عن مدخل منطقى غير مثير للشك و الريبة للتحدث عن أمر عظيم كهذا ، سألته عن رأيه في الفيلم فأجاب بامتعاض أنه لم يرق له ، اندهشت خاصة لأن ملامحه تشي بالاستمتاع فعلاً ، قرأ استنكاري فعقّب غاضبًا

- ليه مراته تخلّت عنه وعن ابنها وانسحبت بالبساطة دي ؟

وافقته الرأي

- فعلاً تخليها عنهم كانت كارثة بكل المقاييس ، بس عايزة أقول :إن لولا الكارثة دي مكنش نجح وأثبت وجوده .

هز رأسه بعدم اقتناع ... كجراح يمسح بقطنة مُعقمة حول جرح غائر استرسلت في كلامي موضحة بطريقة غير مباشرة أن لكل إنسان محنة ، إما تتحول لمنحة أو تصبح وبالاً على صاحبها ، كل وفقًا لإسلوب تعامله ومعالجة موقفه

هز رأسه أكثر قوة لينهي الحوار هربًا

- لا لا ، معجبنيش خالص

تعقيبي على هذا الموقف الذي آثرت الاحتفاظ به لنفسي هو أن شخصية والدكِ شخصية اعتراضية لا تقبل النقط السوداء التي تتسخ بها صفحة حياتنا ، هو يُفضل أن يُمزقها بالكامل عن تخطي تلك النقط واستكمال سطور الصفحة ، لايتقبل فكرة العثرات ، يرغب في طريق ممهد تمامًا حتى يصل لهدفه ، أصدر حكمًا نهائيًا لايقبل الطعن على فيلم بردائته لمجرد مشهد وحيد مظلم في حين أنه كان بإمكانه متابعة الفيلم وتخطي مشاهده السيئة فلولاها ماكان هناك فيلم من الأساس

ترددت كثيرًا وفجأة اختصر لي أسامة أميال من التفكير و الحيرة حين أخبرنى برؤياه و أوهامه التى تراوده و آخرها ما حدث له فى دورة مياه السينما، اقترحت عليه حينها الاقتراح الوحيد المنطقي في تلك الحالة

الذهاب إلى طبيب نفسى .

وافق على مضض دون معارضة.

وبعد زيارة الطبيب التي سبق وذكرها ، عرضت الذهاب معه لرؤية علي وتوقعت الرفض ، لكن لم يحدث ، هناك كنت أجلس فى توجّس وخوف لا أدرى كنهما ، وبينما أنتظر فى الصالة فوجئت بأسامة يخرج من إحدى الحجرات وهو يتحدث لشخص لا وجود له ويقدمه إليّ كعلي ابنه ، أجفلتُ لبضع ثوانى ثم تذكرت كلام الطبيب ،فمددت يدًا مرتعشة بالمصافحة حتى لا أُفسد الأمر برمته .

***

اعتذر عن ما وصفة بـ (قلة ذوق شباب اليومين دول) و أخبرته بـ (مفيش مشكلة) ، تظاهرت بالشعور بالصداع المفاجئ واستأذنته بكوب من القهوة لضمان إتاحة الفرصة أكبر وقت ممكن للانفراد بالشقة ، وبالفعل توجه لإعداد القهوة بينما قفزت مستكشفة .

فى البداية قفزت إلى الغرفة التى من المفترض أنها تخص على ابنه لأجدها تحوى سريرًا مرتبًا من الواضح أنه لم يُمس منذ فترة نظرًا لوجود بعض الأتربة على قوائمه.

عدة كتب واسطوانات مدمجة لأفلام كرتون مغطاه هى الأخرى بالأتربة، غادرت الغرفة وعبرت الردهة حتى وصلت لغرفة ثانية أكبر حجمًا ، تضربها الفوضى من كل جانب حتى أدركت إنها تخص أسامة ذاته ، سرير كبير مبعثر الفرش وساعة حائط متوقفة تمامًا عن الحركة ، وعدة اسطوانات أخرى لأفلام الكرتون ، التفت عن يسارى لأجد مكتب خشبى كبير يحمل العديد من الأوراق والتقارير و أباجورة ذات إضاءة خافتة و مطفأة

تمثل مقبرة جماعية لجثث لفائف تبغ منتهية تمامًا ، امتعضت من المنظر الفوضوى ثم شعرت بالرثاء تجاه الرجل .

لم يكن ما مر به أمرًا هينًا على أية حال ، هممت بالانصراف لولا أن استوقفتنى أجنده زرقاء اللون تقبع فى ركن المكتب وبطرف إبهامى رفعت دفتها لأقرأ ما كتبه لكِ يا صغيرتى .

من بضع كلمات أدركت ان الأمر جدير بالاهتمام ، وأنني قد أمسكت بأول طرف خيط

أعلم أن ما فكرت به وقتئذ لم يكن أمرًا محمودًا ، ولا حتى تصرفًا مقبولًا ، لكن من أخبرك ياعزيزتي أننى ملاك ؟

انتزعت الأجندة من مكانها ، دسستها داخل حقيبتى باضطراب وغادرت الحجرة مسرعة ، جلست على مقعدى مرة أخرى وأكاد أسمع ضربات قلبى الهائجة ، مسحت بيدى رذاذ العرق من جبهتى واستعدت انتظام أنفاسى مرة أخرى ..

ما فعلته مغامرة بجميع المقاييس ولا أدرى علام ستسفر !

هنا انطلق هاتف أسامة بالرنين بنغمة على التى ادعى أنه اختارها بنفسه ، استرقت النظر إلى شاشة الهاتف لأجده المنبه مُهيأ للرنين كل ساعتين تقريبًا ليوحى له بورود اتصال من ابنه .

هنا اعتصر الألم قلبي

هذا الرجل يعيش مأساة مكتملة الأركان

كيف سُمح له الاستمرار في عمله في ظل مرضه !!!

من المؤكد أن انتشار خبر مرض كهذا قد يحيله للتقاعد المبكر ،تسلّلت دمعة رُغمًا عني لأحمل حقيبتى و أنصرف قبل أن يعود ويرانى .

***

حين عودتى إلى المنزل ، أول ما فعلت هو أن نلت حمامًا باردًا لاستعادة نشاطى وقدرتى على التفكير مرة أخرى بعد يوم عصيب بأحداثة وصدماته ، أدرت إسطوانة موسيقى هادئة ، ثم تجردت من ملابسى وانزلقت فى حوض الاستحمام الممتلئ بالماء البارد ، أرحت رأسى على أحد جوانبه و أغمضت عينى ، أستمع للموسيقى الهادئة تنساب إلى مسامعى بسهولة كقطرات الماء التي تتساقط من الصنبور ، بينما تسلل الخدر إلى أعصابى رويدًا رويدًا ، حتى استقرت تموجات المياه وسكنت تمامًا و كأن جسدى قد توقفت مؤشراته الحيوية تمامًا

ثم ...

انطلق صوت هاتفى ففزعت محدثة صخب أدى لتناثر الماء خارج الحوض ، انتزعت روب الاستحمام لأرتديه و أخرج نصف عارية أجيب الهاتف لأجد الدكتور حاتم يخبرنى بتأكيد حقيقة مرض أسامة بالانفصام حيث أخبرنى أنه فوجئ بورود اتصال لهاتفه أثناء جلسة العلاج مردفًا أن هذا أمر مستحيل .

- مستحيل ليه ؟

- علشان الغرفة معزولة تمامًا عن أى شبكة اتصال ممكن تأثر على الأجهزة

***

ركضت دون الاكتراث لتخفيف قطرات الماء المتناثر حولى بحثت عن حقيبتى حتى وجدتها ساكنة بركن مقعد الصالة الوثير، انتزعتها وفتحتها بغل بحثًا عن الأجندة ، فلم أجدها ، قلبتها رأسًا على عقب حتى لفظت أحشائها تمامًا ولم أعثر على ضالتي ، ألقيتها جانبًا بغضب حتى استقرت منكمشة بأحد أركان الغرفة فى خوف و كأنها تُقر بمسئوليتها عن ضياع الآجندة ..

فى تلك الليلة حل الأرق ضيفًا ثقيلًا و أطال المكْث ..

***

فى صباح اليوم التالى بعيون أدماها السهر كنت أقف أمام باب منزل أسامة فى انتظار أن يجيب ، ثم أدركت أننى لم أطرق حتى يجيبنى ، قبضت يدى واستجمعت قواى ثم ضغطت زر الجرس ، بوجه منكمش فتح الباب ، وبصوت مشدوه

- دارين ؟!!

فى صالة المنزل أجلس بموضع الأمس أُفتش بعيني عن الأجندة بينما يبحث عقلى بين جنباته عن كذبة تليق بزيارة امرأة لرجل أعزب فى السادسة صباحًا حتى أسعفني لسانى أخيرًا

- عندك نسكافية ؟

***

أثناء غيابه لتحضير المشروب عثرت على الأجندة أسفل الأباجورة ويرقد قلم بين دفتيها يبدو أنه قد دون آخر الأحداث بعد مغادرتي أمس ، دَسستُها بالحقيبة بحرص تلك المرة حتى لا أفقدها مجددًا .

وبعد احتساء النسكافيه و أمام نظراته الناعسة البلهاء

- قوم ألبس ويلا ننزل
- ننزل !! ننزل نروح فين دلوقتى ؟
- عزماك على الفطار فى النادى ولو نلف التراك شوية

باستسلام من يرى مختلًا امتثل وغادرنا إلى النادى سويًا

***

فى مضمار يشبه حياتنا جميعًا ، نعدو فيه بكل قوة وإصرار خلف وهم صنعناه بأيدينا لا وجود له يسمى (السعادة) ، لنصل فى نهاية المطاف إلى نقطة انطلاقنا الأولى وقد شارف العمر على الانتهاء ، عدونا معًا ، عدوت كما لم أعدو من قبل حتى كاد قلبى أن يتوقف ، لم يبدو على أسامة أدنى تعب ، بل شعرت باستعداده لمواصلة الجري لشهور قادمة ، لكنه توقف احترامًا لانهاكى .

افترقنا للاستحمام بغرف استبدال الملابس بالنادى و أثناء تناول الإفطار ورده اتصال ضاقت معه عيناه وانكمشت جبهته حتى خُيل إليّ أنه يحتضر ، وبعد أن وضع عن أذنه الهاتف أخبرنى فحوى المكالمة فى كلمتين

- لقوا القاتل

***

حلمية الزيتون

شارع فرعي تمتد على أحد جانبيه أبراج سكنية شاهقة تقارب كل منهم خمسة عشر طابقًا برغم عرض الشارع الضئيل ، تُطل تلك الأبراج على مجمع مدارس للمرحلة الابتدائية وحتى الثانوية ، يبرز من نوافذها طلبة يطالعون بنظرات تباينت بين الذهول غير المصدق ، والسخرية الغير مدركة للأمر ، لكنها اتفقت جميعها صوب نقطة واحدة ، لم ندركها من الازدحام ، تعالت أصوات الاستهجان والحولقة ، باقترابنا رويدًا رويدًا اتضح لنا المشهد أكثر كمن يستعمل زوم كاميرا فى تكبير صورة مزدحمة بالتفاصيل ، جموع من البشر تُفسح لنا الطريق تلبيةً لهيئتنا التى توحى بأن الأمر يخصنا ، حتى وصلنا أخيرًا لمحور الارتكاز ، مجموعة من سيارات الشرطة اصطفت بعشوائية فى مواجهة بعضها البعض وقد لفظت أفرادها جميعهم عن بكرة أبيهم من ضباط برتب مختلفة وجنود متحفزة تنتظر الأوامر ، دائرة أمنية تتوسطها عربة مطافى ثبت طاقمها عوارض حديدية على جانبيها لترسخ اتزانها على الأرض وما أن انتهوا حتى نظروا لأحدهم يرتدى زيهم المعتاد ويزيد عليه العديد من الأحزمة العريضة المتينة ، بإشارة متفق عليها قفز فوق سلم النجاة الذى بدأ فى الارتفاع على مهل ، يرتفع السلم وترتفع معه الأبصار ، حتى وصل للطابق الخامس حيث تتدلى جثة لرجل مشنوق دون ملابس ودون .... عضو ذكرى

***

أخبرنا الضابط المسئول عن الواقعة أن النجدة وردها بلاغ بأن المارة فوجئوا بأحد الرجال يقف عاريًا على حافة شرفة منزله وهو يضحك بهيستيريا ويلوح بيده لهم بإشارات بذيئة وقد ثبت ملائة بيضاء حول عنقه

ليقفز متأرجحًا عدة ثوانى بينما يقطر حوضه دما إثر قطع عضوه الذكرى بآلة حادة هى نفس السكين المستخدم فى قضيتنا تلك محفور عليها (حرر قيد الفراشة)

بعد كسر باب شقته وجدت زوجته مقيدة وعاريه طريحة الفراش تنزف دمًا غزيرًا من فرجها ودبرها بفم منتفخ و أنفاس متحشرجة ، اقترب أحد أفراد البحث الجنائى من وجهها لتبين سبب الاختناق ، وجد جسما محشورا بفمها فإنتزعه ليجد قضيب الرجل المقطوع

***

فى مساء ذلك اليوم كنا بالمستشفى نجلس بغرفة الزوجة بعد أن أكد لنا طبيبها المختص إمكانية التحدث معها ، غرفة باردة تحوي سريرًا وكومود على جانبيه بينما يُصدر مصباح فلورسنت أبيض أزيزًا يصرخ فى الصمت المهيمن على المكان ، يجلس أسامة على يسارها يراقب عينيها وفمها مسترجعًا مشهد مقزز حُكى له ، فما بال من رآه !! ، بينما كنت على يمينها أراقب كلاهما ، أخيرًا بعد فترة صمت أخرجت تنهيدة حارة وبدأ فَمُها فى الارتعاش حيث ضاقت عيناها وانكمش وجهها وشرعت فى البكاء ، مسحت عن وجهها ماء عينيها و أنفها ثم ....

- أنا .. لحد دلوقتى مش .... متخيلة اللى ....

رَبَتُ على يدها مهدئة

- أنا عايزاكى تهدى خالص وبعدين تحكيلنا اللى حصل

***

فى صباح ذلك اليوم استيقظ زوجها (جورج) كعادته مبكرًا ليستحم ويستعد لمهام يومه التقليدية ، بينما قامت هي (كريستين) بايقاظ ابنهما الوحيد (بيشوى) ليذهب إلى مدرسته ، تناول ثلاثتهم الإفطار ولاحظت نظرات زوجها الودودة تجاهها بطريقة زائدة تلك المرة ، لم تكن معتادة على هذا الاهتمام من جانبه ، كان دائم الانشغال بعمله ، بنومه ، بهاتفه ، بأى شىء آخر عداها ، وعند مغادرته لايصال ابنهم لمدرسته ومن ثم التوجه إلى عمله ، أجرى التصرف الأغرب على الإطلاق !

قبلها وبابتسامة رقيقة أيضًا

- مش هتأخر عليكى

غادر الشقة

أغلق الباب

تحرك عقرب ساعة الحائط دورانًا حول مركزه كالمعتاد

اخترق بعض هواء الصباح النافذة لتتموج الستائر على أثره

تتابعت صور الكارتون الصباحى على شاشة تلفاز الصالة

كل الكون نشط من حولها ، إلا هى ظلت لبرهة صامتة

متصلبة ، متخشبة ، فارت وثارت خلايا مخها فى محاولة لترجمة ما حدث لكنها أعلنت استسلامها فى النهاية ، منذ أمد طويل توقف هو عن كلمات الإطراء والمغازلة والمداعبة

زهور الصباح الحمراء

النزهة الليلية

السينما الأسبوعية

الأزياء الجديدة

المعاشرة الزوجية بشبقها المتوهج ولم يعد لعضوه سوى وظيفة واحدة بعد أن كانتا اثنتين

توقف عن كل ماسبق دون سبب واضح سوى الملل ، الملل الذى يقتل أكبر العلاقات و أشدها ترابطًا ، هكذا أخبرها حدسها ، وحدس المرأة هو أصدق جهاز كشف للكذب عرفته البشرية وإن أخطأ ، لو كان مسلمًا لأنهى علاقته بطرق عدة ، لكنه مسيحي ، لا يملك سوى الصمت وارتضاء الأمر الواقع على أمل أن ينال مَلاكًا متوجًا في جنته ، فالموت أقرب إليه من الانفصال ، هى تحبه بلا شك وكم صبرت على تغيراته سنوات آملة فى العودة إلى سابق عهده يومًا ما ، ويبدو أخيرًا أنه قد جاء ذلك اليوم ، ابتسمت وباشرت مهام عملها كربة منزل ، شرعت فى تحضير الغداء ، أخرجت أطعمتها وتفننت فى تجهيزها حتى تكون سفرة الطعام اليوم على الوجه الأكمل كما لم تكن من قبل ، وضعت قهوتها الصباحية المفضلة على شعلة نار هادئة تتابعها من آن لآخر خشية أن تفور وتفقد جودتها ، لكن قبل ميعاد عودة جورج من عمله بثلاث ساعات كاملة فوجئت به يقف خلفها وهى تباشر مهامها بالمطبخ ، أجفلت لثوانى فى فزع قبل أن تسمع صوته يطمئنها

- متخافيش ، ده أنا

حادثته دون أن تلتفت

- أيه اللى جابك بدري النهاردة يعنى ؟

أخرج من جيبه مظروف وناولها إياه لتلتقطه وتفضه بحيرة تبخرت فور أن طالعت إيصال حجز شاليه بقرية (لافيدا) العين السخنة ذُيل بجملة (أضحك بقى وأفردها ياعم)

ثم احتضنها من الخلف بقوة حتى شعرت بقضيبه يداعب مؤخرتها وهو يهمس فى أُذنها بغنجٍ

. أنتِ

وفارت القهوة

***

عزيزتي ،،،

وجب هنا التنويه على أن تحري الدقة في الحكي وأمانة النقل أمران ضروريان وكما هو معلوم بأن ناقل الكفر ليس بكافر..

للأسباب السابقة جميعها سأروي لكِ ماحدث تفصيلاً ولا أدري شيئًا عن عمرك أثناء اطلاعك عليه ، بل ليس لدي أدنى فكرة عن كونك ستقرأيه أساسًا أم لا ..

لذا أستميحك عذرًا عن الجزء القادم ، لكنها الأمانة كما سبق وذكرت.

***

obeikan.com

فى غرفة نومهما بينما كانت مستلقية منتظرة غزوها ، دخل عليها عاري الجسد وهو يبتسم فى نشوة ثم أخرج علبة بيضاء وانتزع منها قرصين أسودين وابتلعهما بدون ماء ، لم تستفسر أو تُبدى مُجرد امتعاضة ، قيد أطرافها الأربعة بزوايا الفراش وهي مستسلمة للأمر تمامًا ، فقد سمعت في إحدى جلسات النميمة النسائية ولع بعض الأزواج بهذا الفعل حيث يمنح الرجل نشوة المُسيطر ويزيد من شبق العلاقة ، وعلى أية حال لا شيء يستحق الاهتمام الآن سوى لقائهما وتعويض حرمان سنوات ، فى البداية كان الأمر طبيعيًا ، مداعبات رقيقة ثم نشوة مرتعشة ولهاث مرتفع و تأوهات خافتة حتى ارتقت لمرحلة الصراخ ، أرجعت السبب للاشتياق فى بادئ الأمر ، لكن العنف تجاوز مداه ، خاصة وقد بدأت ملامح وجهه فى الانكماش والتشنج ، حدقت إليه فى دهشة بينما هو لا ينظر إليها ، يرفع رأسه صوب الحائط ويضاجعها آليًا دون توقف ، يغرز فأسه في أرض عطشه

زاد الألم تدريجيًا ، حاولت تنبيهه دون استجابة ، بدأ فرجها فى النزيف وهى تصرخ وتدفعه عنها ، لكنه لم يتوقف كآلة فقدت صوابها ، وعندما حاولت التملص من قيدها ، حرر رجليها ليرفعهما ويفعل خلفًا ما فعله من قبل حتى فقدت وعيها تمامًا ، وما إن انتهى حتى انتابته موجة ضحك هيستيرية وشرع يخبط رأسه بحائط الغرفة والزبد يسيل من شدقيه ثم أخرج سكينًا و ..... قطع قضيبه دون أدنى شعور بالألم أو التردد ، ثم غرسه بفمها بتلذذ وركض إلى النافذة ليفتحها على مصراعيها وهو يمسك بملائة بيضاء يحكم ربطها بعنقه ويثبت الطرف الآخر بالسرير وسط نظرات ذهول المارة وسخرية الأطفال ثم ..... قفز

***

أنهى أسامة استفساراتة ودون كلمة نهض وغادر الغرفة ، شكرتُ الزوجة وطالبتها بالتواصل معي لحظة الحاجة لأى أمر كان ثم لحقتُ به ، وجدتُهُ يقف فى نهاية ممر المستشفى يدخن سيجارته المائة منذ صباح ذلك اليوم ، غير عابئ بتواجده فى مكان محظور فيه التدخين ، ينظر من خلال زجاج النافذة للخارج ، لم أعترض ، انتظرته عدة دقائق فى صمت إلى أن قررت قطعه .

- تفتكر جورج عمل كدة لشعوره بالندم على جرائمه اللى ارتكبها ؟

لم يجيب وشعرت بتوتر قسمات وجهه حاولت أخراجه بدعابة

- اضحك بقى وافردها ياعم

حدّجني بنظراته - دون أن يلتفت - من خلال انعكاس الزجاج حتى جحظت عيناه من مكمنهما وارتعشت جبهته لوهلة كمن تلبسه شيطانًا، ثم استدار وبيسراه جذبنى حثًا على السير ، قطعنا الممر الصامت كالموت وصوت أحذيتنا يُصدر صخبًا ، أخرج هاتفه واتصل بأحدهم ودون مقدمات

- عايز تقرير المعمل الجنائى الخاص بالأقراص السودا اللى جورج بلعها قبل ما ينتحر بأسرع وقت ممكن

أنهى الاتصال ثم أجاب سؤالى أخيرًا

- هو في حد ناوي ينتحر يحجز شاليه في العين السخنة ويروح ينام مع مراته ؟!

***

الساعة العاشرة مساءًا

اصطحبنى أسامة فى سيارته ليقّلنى إلى المنزل ، رأسى تزن طنينًا وثقلًا ، أنا لم أنم منذ ما يقرب الثمانى والأربعون ساعة ، سلكنا الطريق الدائري السريع اختزالاً للمسافات ووقفاً لنزيف الوقت المهدور ..

الرؤية مشوشة والطريق مظلم ..

أضواء السيارة تشق اللاوجود وتثير الغبار والأتربة ..

كان تساؤل أسامة الأخير صحيحًا لدرجة كبيرة لكن وضعى الآن لا يسمح سوى بالتفكير فى دشٍ ساخنٍ وفراشٍ حان يحوى جسدًا منهكًا

فلأغفو ثواني على أية حال ، كلها دقائق وأصل إليه واغتصبه اغتصابًا

ولكم كنت واهمة !

تك تك .. تك تك .. تك تك

انتبهت على صوت تكتكة ، أجفلت لثوان ثم أبصرت زر الانتظار الأحمر حيث يتوسط صدر تابلوه السيارة ينبض ومضةً حمراء برغم ضألتها إلا أنها أحالت محيط السيارة من الداخل إلى جحيم ، وساعد فى ذلك حُلكة الطريق، استغرقت ثوان أخرى لإدراك أمرين ..

الأول أن السياره تقف فى وسط الطريق السريع ، أما الأمر الثانى ..

سائقها غير متواجد..

بكثير من المجهود يمكننى استيعاب غرابة الأمرين السابقين ، لكن من المستحيل استيعاب عاقبتهما ، ألا وهى الإصطدام الحتمي والوشيك

تك تك .. تك تك .. تك تك

نجحت ثلاث سيارات فى تفادى الكارثة لكن من المؤكد أن هذا النجاح لن يطول كثيرًا ، بدأت أطرافى فى الاستجابة أخيرًا بعد طول ارتباك ، قذفت حقيبتى إلى يسارى ؛ لتستقر حيث كان يجلس أسامة ، فتحت بابي ، ألقيت بقدمي اليمنى خارج السيارة ، هممت بالنزول لولا أن استوقفنى حزام الأمان المشدود على صدرى ، حاولت تحرير جسدي منه لكن دون جدوى ، يبدو أن الطرف المعدني الذى يربط الحزام بالمقعد قد التحم للأبد ، تصبّب العرق على وجهي وكامل جسدي ..

تك تك .. تك تك .. تك تك

صوت تكتكة الانتظار يزيد توتري ويسحق ما تبقى من خلايا أعصابي السليمة ، لكن لا أجرأ على إيقافه ..

مرقت سيارة على بعد سنتيمترات بجانب الباب المفتوح وهى تُطلق سبة ببوقٍ طويلٍ غاضبٍ ، كتمت دموعي وأرجأت الانهيار لما بعد ، ليس أمامي سوى رباطة جأشي وحسن التفكير

تك تك .. تك تك .. تك تك

تحركت يدي اليمنى دون إرادة مني ، شعرت لوهلة بأن الخالق هو من يوجهها ، فتحت درجًا بمحاذاة ركبتي ، عبثتُ بمحتوياته حتى وجدتُ مقصًا معدنيًا أمسكتُ بمنقذي وقصصتُ شريط نجاتي ، قذفتُ جسدي خارج

السيارة ، درتُ مهرولة حولها لأستقرَ على مقعد السائق فإذا بقدمي تتعثر بكتلة متكومة لأسقط أرضًا فى ألم وضوء كشافات الإضاءة الأمامية يلفح عيناي ، رفعت رأسي وأنا أضع كفي حائلاً للضوء المؤلم فأبصرت سبب تعثرى

جسد أسامة ملقى فى استسلام و سكون

نهضتُ وأنا أُمسك بقدمه وبكل ما أوتيت من قوة أجذبه حتى نجوت به بجانب الطريق ، ثم ركضتُ مسرعة لإنقاذ السيارة

***

(50 ساعة بلا نوم)

***

اتصلت بـ (إياد) الطبيب النفسى صديقي ، لم أجد من يُنقذنى فى ذلك الوقت غيره ، حضر إلى موقعي بسيارة إسعاف اصطحب بها اسامة ولحقت بهما بسيارة الأخير ، بعد فحصه بالمستشفى والاطمئنان إلى حالته ، عاد لإدراكه لكن دون تذكر آية تفاصيل ، وبينما كان طاقم التمريض يُنهى إسعافاته كنتُ أجلس مع إياد برواق المستشفى ، رأي إياد المبدئى كطبيب أنه تعرض لما يسمى فى علم النفس بـ (PANIC ATTACK)

- نوبة فزع !!

سألته بوجوم ليقلب كفيه فى شفقة مجيبًا

- للأسف ، حسب ما حكيتى عن حياته وتجربته الصعبة مع موت ابنه وحالة الانفصام اللى هو عايشها أقدر أقولك بكل أريحية إن الراجل

ده عـايش ميـت ، أنـا درسـت حـالات كتيرة وعالجـت حـالات أكتر و متأكد تمامًا من تشخيصى لحالته ، للأسـف حالة زى حالة أسـامة تخطّت المرحلـة الرابعـة فى العـلاج ، هـو دلـوقتى بيعـيش مرحلـة أنـا بسميها ...

ثـم سـكت هنيهـة وكأنـه يسـتعيد قـاموس الحـروف ليجـد مـا يناسـب الموقـف تعبيرًا ثم نطق أخيرا بثلاث كلمـات لـم ولـن أنسـاها مـا تبقى لى من العمر

(الجحيم عرض مستمر)

سـافرت بمخيلتي لمواقـف وأحاديث جرت بيننا ، حقًا لا أحد يشـعر أو يقدّر ما بداخلك حق تقديره سـواك ، فمن تراه أمامك مبتسـمًا ربما يموت قلبه كمدًا من داخله ، ومن تراه مستهترًا غير مبالي ربما يكون قد تخدّر من الإهمـال وقلـة الاهتمـام ، أسـند إيـاد ظهـره للمقعـد وعقـد كفيـه وهـو ينظـر للحائط المقابل وبأسى كمن يحادث نفسه :

- المـريض فى المرحلـة دى بتبقـى طاقتـة الجسـدية والنفسـية تسـاوي صفر، إحساسه بالذنب وعدم الجدوى يُفضى دايمًا لاضطرابات فى النوم وفقدان شهية الحياة عمومًا ورغبة ملحة فى الموت ، لكن مع شخصية ذى شخصية أسامة ما بتوصلش لفكرة الانتحار وده جيد وسيئ فى نفس الوقت ، لأن جهازه العصبي بيواجه الصراع ده بنوبة من نوبات الفزع . استدار. من حسن حظك أنك كنتى نايمة وقت ما حصلت النوبة دى يا دارين ، المريض فى الحالة دى بيُصاب بألم شـديد وحاد وشـد عضلي بيمسـك جسـمه كله ، عندى حالة كنت

بسمع صوت عضمها وهو بيتكسر من غير ما حد يلمسها ووشها بيتشنج ويحمر أوى وكأن فى حد بيخنقها .

نظرت إليه وقد فشلت فى كبح جماح دموعي وبصوت مخنوق

- بعد كلامك ده أعتقد أن رؤية نوبة الفزع اللى مر بيها أرحم بكتير من تخيّلها ، ده إنسان بيموت فعلًا .

هنا مد إياد يده وأمسك بأناملي

- وأنا كمان بموت يا دارين

انتزعت يدى ليهمس فى أذنى

- إشمعنى ..؟!

وبعد أن قرأ الدهشة فى عينى أكمل تساؤله

- إشمعنى كلمتينى أنا بالذات وكان ممكن تكلمى جوزك ؟

***

obeikan.com

آثار لثلاث صفحات ممزقة

" كانت تلك قصتى باختصار مع حب كُتب عليه الإعدام فى اللحظة الأخيرة "

يقولون :إن الأنثى لا تزل عذراء طالما لم تتزوج من تحب .. وإن أنجبت

وعلى أية حال لا تشغلى بالك يا صغيرتى .. فمآساة الغير دائمًا أتفه من أن نُلقي لها بالاً

obeikan.com

فى المشرحة

يلتف عدد من الرجال حول محفة تحمل جسد من كان رجلًا فى أحد الأيام ويدعى جورج ، على رأسهم أسامة ينتصب ساكنًا وقد عقد كفيه واستغرق فى تفكير طويل ، وقد غلف الصمت محيط الغرفة بالكامل كرهبة حضرة الموت ، وكنت أنا المرأة الوحيدة بينهم ، كان لا يظهر من جسد المنتحر سوى رأسه بينما توارى بقيته أسفل ملاءة بيضاء من أخمص قدمه حتى رقبته ، وبإيماءة تكاد لاتُرى من أسامة لأحد الرجال يرتدي قفازات بيضاء أمره بكشف الجسد بالكامل ، تردد الرجل قليلًا وهو يصوب نظراته تجاهي ثم يعود بها لأسامة كمن يخبره (أنسيت أنها امرأة !!)

بامتعاض يوميء أسامة برأسه كمن يجيب (ماعاد به ما يخدش الحياء!!) فيستسلم الرجل فى النهاية ويكشف النقاب عن الجثة ، الجسد صُفيّ من الدماء تمامًا ، يبدو أن الرجل نزف كثيرًا لدرجة أحالت جسده لكيس مهترئ..

تكلم أحد الرجال دون أدنى استجابة أو التفاته من أسامة تجاهه

- سجل الراجل يا فندم خالى تمامًا من أى سوابق جنائية أو أى ميول إجرامية ، غير شهادة جيرانه بأنه كان حسن السير والسلوك بس عصبى .. وكان دائمًا فى خلاف من زوجته وكان بيحافظ على قداس الأحد كل أسبوع ، بس ...

سكت عن الكلام كمن يتأكد بإصغاء من يحادثه أو يأمن شر غضبته كرد فعل لما سيقال

- بس أيه ؟ كمل

- لُه جار حكى موقف غريب شوية حصل من أسبوع قبل الحادثة
- موقف أيه ؟
- كان خارج من شقته شاف جورج وهو بيرقص عالسلم عريان

هنا ولأول مرة يلتفت إليه

- عريان ؟!
- ملط
- مممم ، طب والتقرير الجنائى ؟

قالها وعاد لوضعه مرة أخرى ليجيب رجل آخر

- فيما يخص السكينة نفس المواصفات السابقة مصنوعة من نفس المادة ، ما بتسمحش بنقل البصمات ، بس .....

بانفعال

- أنا مش عارف أيه كمية الـ (بس) النهاردة !! ما تخلصوا وتقولوا اللى عندكم

بارتباك ازدرد ريقه .

- أصل يافندم كل حاجة متعلقة بالقضية دى غامضة ومش مفهومة.

دون أن ينتظر منه استفسارًا أردف.

- المعمل الجنائى فشل فى تحليل أو حتى التعرف على مكونات المادة الفعالة فى الأقراص السودا اللى لقيناها مع الضحية .

obeikan.com

التفت إليه بتجهم ساخر

- نعم يا باشا ؟!
- فشلنا يا باشا فى تحليلها وبعتنا عينة لخبير فى كلية الصيدلة وطلبنا رأيه.

الأمر كان بالفعل مُربكًا ، لمست عدم الارتياح ونبرة يأس احتلت أسامة ، أشفقت فعلًا عليه وزاد ألمي بضعفه وقلة حيلته فهو أخبرنى ـ حتى من قبل كل ما قيل ـ بينما كنا في الطريق إلى المشرحة بشكوكه حول أن يكون ذلك الرجل قاتلاً ، وبالفعل صدقته ..

***

هنا اقتحم غرفة التشريح أحد الرجال متجهم الوجه حليقه يرتدى بذلة سوداء ويمسك بيده عده أوراق ، تردد هنيهة كمن أدرك تهوره ، تنحنح معتذرًا ثم اقترب من أسامة ، همس فى أذنه بعدة كلمات تحرك أسامة على أثرها وهو يجذبه من مرفقه بعصبية ، دار حوار هامس بينهما بأقصى الغرفة قبل أن يشير إلىّ أسامة باتباعه

ثم غادر الغرفة ..

***

فى طريقنا لمكان لا أعلمه ، أخبرنى بتطورات خطيرة ، قام رجال الشرطة بالاطلاع على أحراز قضية الإنتحار ومن بينها سجل هاتفه ، كان من بين الأرقام التى اتصل بها صباح يوم الجريمة رقم يخص شاب روسى يدعى .....

نعم هو من أقصد

اليكسى آرسين

حاول أسامة التواصل مع حاتم عدة مرات لكن كان هاتفه مغلقًا ولا أثر له

تم استجواب كل أقران اليكسي- بطريقة ودية بالطبع . حول شخصيته، أجمع الكل على أنه مسالم وودود وأنه ظهر بينهم منذ ما يقرب العام وليس منذ عشر سنوات كما أخبر حاتم فى لقائة الأول به ولم يستدل على عنوان إقامته فقد كان شديد الحرص على إخفائه لكن بتتبع رقم هاتفه تم التوصل لمكان تواجده منذ ما يقرب الساعة بمنطقة شبرا

****

كعادة تلك المنطقة ، ازدحام مروري وبطء حركة المركبات ، لكن ما زاد الأمر سوءاَ انتشار سيارات الإسعاف والمطافئ بطريقة مُربكة ، الأغرب أنها كانت تتجه للشارع ذاته وجهتنا ، مَرقت بجانبنا إحدى سيارات المطافئ وهى تُطلق أبواق إحياء الموتى ..

أبطأ أسامة من سرعة سيارته والتزم بجانب الطريق حتى يفسح لها المجال ثم انطلق خلف آخر واحدة من موكب الإنقاذ حتى وصل لشارع جانبي امتلأ بالسيارات والمنقذين والمارين وصوت صراخ النساء المستغيث وشرفة منزل بالدور الأول تنطلق منها ألسنه لهب لظى ، وكان الأمر لايحتاج لشرح

يبدو أن هدفنا لم يتمكن من الهروب وحسب ، بل و أخفى آثاره جميعها فالحريق جريمة سهلة الارتكاب ، وصعبة التتبع ، النار تأكل الصغير

قبل الكبير ، بل والأدهى أن استخدام المياه ومواد الإطفاء وهرس الأقدام يأتى على ما تبقى منها ، هذا إن تبقى ...

باختصار ...

قاتلنا وكأنه لم يكن يومًا

***

فى غرفة زجاجية خافتة الإضاءة ، على أحد جوانبها ثُبتت أجهزة كثيرة لا أعرف كنهها ، تومض منها مئات الأزرار وتتراقص على شاشاتها مؤشرات و أرقام تعلو وتهبط تزيد وتنقص ، تنطلق من إحدى الشاشات المثبتة بسقفها صورة لدوامة من الدوائر الملونة لتختلط جميعها وتتوحد فى اللون الأزرق السماوى ويتخلله أحيانا مسحة بيضاء صافية تعدو كالشهاب بين الحين والآخر بانتظام وتتابع ، يواجه تلك الشاشة أسامة راقدًا على سرير جلدي أشبه بالتابوت ، مُفرغ بحيث يحوي جسد المريض كله بالمعنى الحرفي للكلمة، فتجد تجويف لكل جزء من جسد الإنسان على حدة ، الرأس ، اليدين ، الرجلين ، من شاهد لوحة الرجل الفيتروفى سيعرف ما أقصد وصفه ، تصدر اهتزازات خفيفة مُدغدِغة وتُشع دفئًا مُتعمَدًا ليواجه برودة محيط الحجرة فيصنع حالة من الارتخاء ، تتسلل من زاوية مجهولة موسيقى مقطوعة (Adagio for strings) الكلاسيكية لصامويل باربر ..

من خلال كُوَّة جانبية يهب هواء بارد غير منتظم القوة ، يزداد ويقل مع ارتفاع وانخفاض السلم الموسيقى بالمقطوعة المعزوفة ، أسفل السرير تمتد أنبوبة زجاجية شفافة يَجرى بها سائل مُلون لتصل فى نهايتها لبخاخة دائرية تبخ عبر ثقوب رقيقة عطرًا من عالم آخر.

أمسك إياد برأس أسامة فارتعش الآخير ، ربت على كتفه مطمئنًا ، فاستكان مرة أخرى وعاد لاسترخائه ، ودون أن يشعر ، غرز إياد أسفل رقبته محقن تدفق منه سائل أصفر رويدًا رويدًا ، انتزعه برفق بعد أن أفرغ سائله وثبت مكانه ضمادة دائرية صغيرة وبصوت خفيض طالبه بإغماض عينيه والتنفس ببطء وهو يناوله ريشة زرقاء

- خد نفس عمييييق وإمسك دى فى ايدك

وبعد أن سمع صوت أنفه يستجيب لأمره

- خرجه ببطء فى أطول وقت ممكن

أطلق زفيرًا طويلاً خافتًا

- هتركز بس مع صوتى وصوت الموسيقى ، وتنفذ كل المطلوب دون تردد ..... دماغك تقيله أوى دلوقتى وجفونك مش قادر ترفعها ، هعد من واحد لعشرة وهتنام فورًا

رمقه لبرهه قبل أن يبدأ العد بصوته الرخيم

واحد

اثنان

ثلاثة

.

.

عشرة

ثم سقطت الريشة من يده ، أشار لي بمغادرة الحجرة فغادرت .

***

من خلال الزجاج المُصمت أُشاهد إياد يوجه أوامره لأسامة ، أو بمعنى أدق إلى جسد أسامة، هو الآن أقرب إلى المسحور ، ذهب عقله فلا حول له ولا قوة ، طال صمت إياد فى انتظار الاستجابه حتى جاءته بعد خمس عشرة دقيقة ، بدأ فم أسامة فى التمتمة ثم دار بينهما حديثًا حاولت قراءته بعيني ، لكنى فشلت .

إياد ينفعل بكامل جسده وهو يتحدث ، بينما أسامة يُجيب مُغمض العينين مرتعش الفم منقبض الملامح ، امتد الحديث لما يقرب تسعين دقيقة لدرجة أن حسبته لن ينتهى ، خرج إياد والوجوم يطغى على قسماتة ، لكن الأغرب فى الأمر هو أسامة ...

خرج بوجه جديد ، لم أُبصره من قبل

وجه مُبتسم ومُتفائل وأنا لم أره منذ قابلته أول مرة مبتسمًا أومتفائلاً

أسعدنى ذلك لدرجة الانزعاج ، سألت إياد عما دار بينهما فأجاب باقتضاب

- بعدين ، أنا تعبان جدًا.

لم يكترث أسامة بمعرفة ما قيل أو بنتيجة الجلسة وكأنه حريص على ألا يفقد حالة النشوة التى انتابته وشكره برضى عجيب

اتفقت مع إياد على إجراء تلك الجلسة مرة أخرى لاحقًا

ثم غادرنا بهدوء ومازال الأمر يحيرني

تبدّلت الوجوه بين أسامة وإياد وكأن بمحادثتهما قد تبادلا الأرواح .

وأثناء هبوطنا فى المصعد طالع أسامة صورته فى المرآه وهو يعدّل من هندامه ويخلخل شعره بأصابعه ، راقبته فى صمت وجال بخاطرى أمر ما .

لم يكن أباكِ يا عزيزتى مغرورًا كما هُيأ لى ، لكنها كانت اللامبالاة التى تطغي على إنسان تألّم حد الموت ، لدرجة ما عادت للدنيا قيمة ، ولا للحياة غاية ، هذا ميتٌ ينتظر محاسبته ولا يتمنى حتى الجنة ، الغريب حقًا أنه لم يُثير أمر اختفاء الأجندة أو حتى وجودها من الأساس فى أي من مناقشاتنا معًا برغم بلوغنا مرحلة متقدمة من الصداقة والقرب ، ومن ثم لم أذْكر حرفًا واحدًا عنها .

رنّ هاتفه فَبَدت ملامح الضّجر على وجهه وتردّد قليلاً كمن يتوقع كارثة ما ، ثم أجاب الاتصال وقرأت فى عينيه ما يفيد بأن توقعه قد حدث

***

ما إن دلفنا إلى المول التجارى الواقع بطريق السويس حتى كدنا أن نختنق ، طوفان من البشر يتدافعون ، هرج يضرب هنا ومرج يضرب هناك ، حشود تختلط فيها طبقات اجتماعية متباينة ، تشابك صوتي بين المتواجدين تحول تدريجيًا إلى مشاجرات عنيفة واعتداءات جسدية ، فسقوط أجساد ، وهرس بعضها والعويل يزداد،اشتعلت الأجواء مع تكدس الكُتل البشرية ، أقنعة الوقار

تسقط ، بضائع تُسحق ، أجهزة تتحطم ، ألبسة تتمزق ، عَورات تُفضح ، كل هذا ويقف رجال أمن المكان فى الأدوار العليا يسجّلون ما يحدث بكاميرات هواتفهم ضاحكين بسادية ، بتلقائية ودون أن أشعر وجدتُ يدى تتسلل أسفل ذراع أسامة وهول الموقف لم يجعله يبدى اعتراضًا ، لا نفهم ما يحدث ، كل ما فى الأمر أنه وردنا اتصال بأن " اليكسى " القاتل متواجد فى هذا المول التجارى ، لكن ما سر تلك الكارثة التى تجري على مرأى ومسمع القائمين على أمن المكان ..

رَفَعتُ رأسي فأبصرت تفسير المشهد كله ، يافطة سوداء تتدلى من أعلى كُتب عليها بالأبيض Black Friday ، ربتّ على كتف أسامة بيدي اليسرى وأنا أصرخ لايصال كلامي رغم دنو فمى من أُذنه

- دى الجمعة السودا

باستغراب يصرخ هو الآخر

- الجمعة الأيه ؟!
- الجمعة السوداااااا ... يوم التخفيضات العالمى

لاحظ الضيق على قسماتى فربت على كفّى مطمئنًا

- متقلقيش ، هنقبض عليه
- أنا مش قلقانة ، أنا زعلانة علشان ملحقتش أشترى حاجة

***

أخرج أسامة هاتفه وحادث أحدهم

- أنا فى المول ، حددلى المكان بالظبط

ثم صمت لبرهة وهو يومئ برأسه مستمعًا للطرف الآخر ، أشار بيده لأتبعه واتجهنا لممر طويل ينتهى بدورتي مياه واحدة يمينا للرجال واليسرى للسيدات ، توقف فى تحفز ولأول مرة أرى مسدسًا فى يده ثم حادث الطرف المرشد .

- يمين ولا شمال ؟

يبدو أن الجواب كان يمينًا يعنى أنه فى دورة مياه الرجال لكن هل فى ذلك شك من الأساس ؟!

تردد أسامة قليلًا وتحفزت ملامحه ، ففهمت أن الأمر متعلق بذكرى سيئة مع دورة المياه من قبل ، لكن لم يكن فى مقدوري بالطبع أن أحمل عنه المسدس وأقتحم دورة مياه رجالى بحثًا عن وغد روسي .

حسم أمره وأشار لى بالتراجع فتراجعت .. أمسك بالمسدس بقبضتيه ثم رفس الباب برجله اليمنى لينفتح بقوة ثم اختفى داخله .

***

مرت دقائق ولم يظهر أسامة مرة أخرى ، يقتلنى القلق ولا أملك فعلاً ، فاض بى الانتظار فتسحبت بتوجس واقتربت من باب دورة المياه ، بأطراف أصابعى وكزته ، فتحرك بصرير زاد توتري ، من فرجة ضيقة ألقيت نظرة داخل المكان ، دورة المياه خالية ولا أثر لأسامة ، فركت كفي فى توتر ثم

- فى حاجة يا مدام ؟!

تراجعت فزعة لأرى رجلًا ينظر إلى بتشكك ، ارتبكت لثوان بحثًا عن مبرر لفعلتي ، لم ينقذنى سوى صوت انفراج الباب عن آخره و خروج أسامة مندفعا فى غضب وهو يمسك بهاتف لا يخصه ، لم يكترث بموقفى الحرج ، كقطار فقد سيطرته اندفع مغادرًا الممر الطويل وتبعته تاركة الرجل الغريب مندهشًا في بله .

عودنا للبهو الرئيسى المكتظ بالبشر وهنا أطلق الهاتف رنينًا قوياً ، نظر أسامة طويلاً إليه قبل أن يضغط على زر جاهر الصوت مجيبًا ودنوت بأذنى لأستمع

- ألو

ثوانى من الصمت مرت قبل أن يجيبه الطرف الثانى

- أنت إذًا من كُلفت بإصطيادى .... مرحى
- اليكسى ؟!

تساءل أسامة مُقرًا

- هو ذا ، كيف حالك يا صديقى ؟
- طلباتك ؟!

قالها باقتضاب

- هو طلب وحيد يا عزيزي ليس لدى غيره ... حرر قيد فراشى
- بمعنى ؟

- لي عندكم أمانة أود استردادها
- مش فاهم
- أعطنى الوعاء ولو فارغًا و سأكتفى بما شربت وإلا ....

صمت قليلًا قبل أن يكمل بغلظة

- سأشرب المزيد

طول مماطلة أليكسي ويأس أسامة من الفهم جعلت الأخير يغمض عينيه ويقبض بكفه الحر على جبهته فى تألم ليفاجأه الأول قائلًا

- ما بك يا صديقى ؟! هل أصابك صداع ؟

هنا انتفض أسامة يتلفّت حوله يمنة ويسرى ، ضالته تتلاعب به والأصعب أنها تتلذذ بمراقبته حائرًا ضائعًا، ارتد إليه وجهه القديم الذي كان قد فقده بعد جلسة العلاج

أين هو ؟

و كيف يراقبه عن كثب وسط كل هذا العدد ؟

كالدرويش يؤرجح رأسه حتى تصلّب لأعلى فنظرت تجاه زاوية رأسه ورأيته يقف مبتسمًا في الطابق الثالث وأنهى حواره قائلاً :

- غداً الثامنة مساءًا في دار الأوبرا ولاتتأخر...

هو اليكسي كما وصفه حاتم الصواف ..

حاتم الصواف ؟!!!

أين هو الآن ؟

***

أعطنى الوعاء ولو فارغًا و سأكتفى بما شربت .. وإلا سأشرب المزيد

***

بالطبع كانت محاولة تتبع رقم الهاتف الذى استخدمه فى الاتصال نوع من العبث ، فبمجرد انتهاء المكالمة كان قد أغلق هاتفه وتخلص من الشريحة..

نحن الآن نجلس فيما يفترض بأنها حجرة حاتم الصواف ، هى أكثر نظافة من سلة مهملات وأقل من أن توصف بحجرة ، لا أتكلم عن هيئتها المتواضعة التى تشى بفقر شديد لكن أقصد هنا الفوضى التى تضربها من كل الجوانب ، التقطت عينى ثلاث صراصير فى ثلاث أماكن مختلفة ..

حاول أسامة عدة مرات إلهاء نظرى عنهم فهو يدرك ما يمثله هذا الكائن المقزز لدى المرأة المصرية تحديدًا لكنه فشل فى النهاية فتوقف عن محاولاته أمام إصرارى على الفزع ليعلنها بعينه وهو ينظر إلى " يكشى تولعى " ثم وجه تساؤله لحاتم عن آخر التطورات ليخبره الآخير أنه قد توقف عن الذهاب لمواقع التصوير منذ فترة لعدم جدوته المادية ، انفعل أسامة فجأة دون مبرر لدرجة انتشلتنى من مهمة مراقبة الصراصير الثلاثة .

- يعنى مكنتش قادر تصبر يومين تلاتة شغل ولو حتى ببلاش وتتعاون معانا يا أخى ؟!!

بهدوء وتلقائية أجاب وهو يحك شعر رأسه المبعثر

- يا بيه أنا أهلى لما صدقوا أتخرج علشان أشيل همي عنهم .. تقولى أشتغل ببلاش !! أخويا استشهد فى العبور وكان شايل عنا البيت كله

ازدرد أسامة ريقه مُحرجًا بعد أن استشعر بالذنب تجاه انفعاله وبصوت خفيض حاني

- هو أخوك من شهداء عبور خط برليف ؟!
- لا يا باشا ، أخويا من شهداء عبور طريق الإسماعيليه مات وهو بيقلب رزقه فى كارفور وقت ثورة 25 يناير والحكومة حسبته ضمن الشهداء .
- هو انتوا ضايعين كده خالص !!
- والله يا باشا و أكتر من كده .

كان أسامة يتوقع معلومات عن اليكسى لكن أصابه الإحباط وهمس إليّ إيذانا بالانصراف لولا أن استوقفه طرق باب الغرفة فساد الصمت لبرهة قبل أن يُفتح ببطء مصدرًا صريرًا مُقبضًا ويكشف عن طفلٍ صغير ، يرتدى بنطالاً أسوداً وقميصاً أبيضاً ملئ بالثقوب ، مُبعثر الشعر وقف يتأملنا لثوانٍ وهو يُضيق عينيه كمن يُبصر بصعوبة ، هنا بدت ملامح القلق على وجه حاتم ثم بتردد وارتباك

- تعالى يا بركة ، عايز حاجة ؟

لم يجبه ، بل استمر بوضعه المتأمل ، ناديته مداعبة

- تعالى يا أستاذ بركة اسمك حلو أوى

فلم يستجب ، تحرك دون أن يرفع عينه عن أسامة ثم جلس على كرسي يؤرجح قدميه كعادة الأطفال الملولة ، سألت

- أيه حكاية اسم بركة ده ؟
- هو اسمه زياد بس احنا مسمينه بركة علشان مكشوف عنه الحجاب

ابتسمت لدعابته لكنه لم يبتسم فتسائلت

- مش فاهمة

أجاب وهو ينظر إليه

- سمعتى عن الطفل الزهرى ؟
- لأ
- يعنى تقدرى تقولى كده طفل روحانى رغم نظره الضعيف إلا إن السواتر عنه مرفوعة

هنا نطق الطفل لأول مرة موجهًا حديثه لأسامة

- متتأخرش عليه علشان مستنيك

سأله مبتسمًا

- هو مين ؟

أجاب بابتسامة مماثلة

- علي

***

obeikan.com

الطفل الزهرى هو إنسان قصير النظر ، وبراحتى يديه خط متصل بشكل عرضي ولسانه مفلوق بخط طولي وهو مشهور بأهميته فى الوساطة الروحية خاصة فى دولة المغرب حيث يعتبره بعض المتخصصين فى هذا المجال ابن من أبناء الجان ويستخدم كوسيط فى إخراج الكنوز الموئوده فى رحم الأرض

***

تداخل أصوات الآلات الموسيقية أثناء فترة إحماء ما قبل العزف مع ضجيج رواد دار الأوبرا المنتظرين لبدأ مراسم الحفل صنعت ضوضاءًا مثيرة للأعصاب ، أسامة يجلس بجانبي فى توتر ملحوظ وهو يمسح بعينيه وجوه الحاضرين بحثًا عن اليكسى ، شرعت فى الحديث معه بغيه تخفيف حدة الاضطرابات

- بتخاف من أيه ؟

بغت بالسؤال لدرجة انتشلته من عملية بحثه ، استدار بكامل جسده يرمقنى لثوانى ثم اعتدل مرة أخرى ساكنًا زائغ العينين ثم أجاب همسًا سمعته رغم الضجيج

- بخاف أخاف .... و ده مخلينى عايش دايمًا فى خوف
- طب ما تسيبها على ربنا
- للأسف الواحد مابيسيهاش على ربنا غير لما يجرب كل حلوله المحدودة جدًا ، كِبره وعناده وحقارته بيوهموه أنه عايش بفضل ذكائه ، لكن فى الحقيقة هو عايش بس برحمة ربنا وساعتها بيقول يارب ، والغريبة أنه بيلاقيه جنبه
- طب طالما عندك اليقين ده عايش خايف ليه ؟

- عندي إيمان لكن لسة موصلتش لمرحلة اليقين ، اليقين يستوجب فعل وهو أعلى درجات الإيمان

بتردد وبصوت مختنق قلت ماكبته داخلي كثيرًا

- أسامة ... أنا عرفت
- عرفتى أيه ؟!!
- عرفت إنك .....

هنا قطع حديثنا جلوس شاب بجانبنا ، شاب وسيم يرتدى بدلة سوداء وربطة عنق أنيقة ويدعى ...

اليكسى

و أظلمت القاعة

***

بدأ الأوركسترا بعزف مقطوعة فيفالدى الشهير المواسم الأربعة ، كيف أخطئه وهو عازف الكمان الأشهر وله أربع مائة كونشرتو ، بدأ أسامة حديثه مندهشًا

- أنت جرئ أوى ، مش خايف ؟

دون اكتراث أجاب

- و لِمَ الخوف ؟ ما عدت أخشى شيئًا
- قتلتهم ليه ؟
- غرائزهم هي من قتلتهم

obeikan.com

- مش خايف يتقبض عليك ؟
- لست متهمًا كي يتم القبض علي ، أنا بجانبك الآن لو شئت لرحلت معك أينما أردت ، لكن دعنى أنهي أمسيتى الموسيقية أولًا .

قالها وهام مع العزف وهو يرفع يديه كمن يحلق عاليًا ، نظر إلي أسامة نظرة (ده طلع مخبول) وأعتقد أنى بادلته النظرة ذاتها ، ثم أشار بيده لأحد الرجال الواقفين فاقترب و أخرج قيد حديدى وكبل معصميه وانصرفنا فى هدوء قبل أن ينقشع ظلام القاعة .

هل كان القبض على مؤرق لياليا الأخيرة بتلك السهولة ؟

لا لم يكن كذلك

***

بالطبع لم يكن بمقدورى حضور التحقيقات وجلسات الإستجواب ، وقلّت لقائاتى تلك الفترة بأبيكي لكنه أخبرنى فيما بعد ما جرى .

وكلت القنصلية الروسية بالطبع محامياً لتولي مهام الدفاع عن اليكسي وتم التحفظ عليه قيد التحقيق للإشتباه فى تورطه فى جرائم قتل متسلسلة ..

الى ان جاءت جلسة التحقيق الأهم

***

فى حجرة مُغلقة فارغة سوى من منضدة خشبية مثبتة بالأرض وكراسى مرتكزة على قضبان معدنية لا تسمح سوى بالحركة للخلف والأمام فقط ، فى

obeikan.com

كل ركنٍ من أركان الغرفة تُطل كاميرا تُصدر أزيزًا خافتًا ، يتدلى من السقف مايكرفون فائق الحساسية يلتقط دبيب النمل .

دخل أسامة الغرفة ليجد اليكس يجلس مرتكزًا بكوعيه على المنضدة مطأطئ الرأس مستغرق فى تفكير عميق ، يكسو ملامحه حزن ويأس ، اقترب منه ثم جلس فى مواجهته قبل أن يبدأ الاستجواب .

- مش ناوى تتكلم وتعترف ؟
- كان من الممكن انتهاء الأمر برمته قبل أن يبدأ أساسًا
- أنت لحد دلوقتى بتقول كلام مش مفهوم وده كله مش فى صالحك ، أنت متهم بقتل ضحايا دون ذنب و الإنكار مماطلة ملهاش داعي
- وسيزيد عدد الضحايا كلما زادت فترة إقامتي هنا .
- تقصد بأيه " حرر قيد الفراشة " ؟
- فراشتى التى عشت من أجلها و الآن أموت كل دقيقة بعدها .
- أنا صبرى عليك مش هيطول .. اتكلم ووضح.
- هل لديك الوقت لتسمع ؟
- معنديش غير أمك أسمعه

***

" بروين "

اسم فتاه روسية ويعنى

الفراشة

***

قلقًا ، مكتئبًا أتطلع إلى هناك وقد أطربتنى الذكرى ، أحس أن الدموع قد ولدت فى عينى ثانية وروحي تغتلى وتتجمد

نجمة النهار. بوشكين

***

كانت ليلة حالمة يا صديقى ، كنت مع نجمة ليلي ونهاري ، أجمل ما رأت عيني ، ملاكًا أخطأ طريقه حين خُلق فعوقب ببشريته ، خرج من جنته ليخطو بقدميه صانعًا آلافًا أخريات ، كانت إذا أقبلت .. أقبلت معها دنياى ، وإذا أدبرت .. صُبت لعنات الكون المستعرة فوق رأسي ، كانت لأيامى تقويمًا ، فكما هناك تقويم ما قبل الميلاد وبعد ، فهناك تقويم ما قبل رؤياها وبعده ، باختصار (هى أنا التى أعشقه) فالأنانية في شرعها رذيلة الفضائل .

بحرٌ هائجٌ وليلٌ باردٌ ، استلقينا على رمال ناعمة نراقب السماء وهى تتلاعب بنجومها وكأنها خُلقت لتسلينا ، تهرب نجمات وتولد أخريات ، لكن لا شيء يهمني سوى نجمتى الحبيبة ، ذراعي الأيمن وسادتها وروحي غطائها ، يهفو نسيمٌ باردٌ يُدغدغ أوصالنا حتى سكرنا دون خمر ، ضَحكت فسمعتُ أنّات كونٍ مُتيم ، همست فى أذنها أن " أريدك " ، فنظرت إلي بأن (ارتقى بروحك واعتلى طينتك يا بشري ، فمن مثلي اتصاله نفاد الغايات ومبلغ النهايات) أرتد إلى طلبى منتحبًا فرددته (أريدك).

ابتسمت فشهق الكون منتشيًا وأضاءت شمس سنها وهمست (فلتكن حاذرًا إذًا) ..

ثم انسابت تبتعد وتلحق بها ضحكاتها .

***

ذهبت إلى بار الفندق أنتقي أفخر زجاجات الخمر وتشكيلة من الفاكهة الطازجة واستوقفنى أحد رجال الاستقبال يحادثنى عن أمرٍ ما ، أطال الحديث واقتصرت الردود وفى طريقي عائدًا لغرفتنا المتوعدة بليلة لن تنسى - وحقًا كانت - ابتلعت درجات السلم بقدمي حتى ردهة الغرف الطويله كليلة نابغية ، عبرتها مهرولاً إلى أن بلغت غرفتنا ، كان الباب موارباً والغرفة حالكة السواد ، نكزته بقدمي فانزاح ، استرجعت إحداثيات الغرفة بمخيلتى حتى وصلت للمنضدة ، وضعت عنى ما أحمل ، تحسست الحائط حتى أدركت القابس ..

ضغطته فأضاءت الغرفة

و أظلمت دنياي

***

هنا اقتحم أحد الرجال غرفة الاستجواب وناول أسامة تقريرًا جنائيًا يفيد بقتل سيدة روسية تدعى بروين إياكوف طعنًا بسكين طعام وسرقة مصوغاتها وأموالها

التاريخ : 13 ديسمبر من عام ألفين وأربعة عشر

الفندق : فندق (.....) بشرم الشيخ

شهاده الشهود : أثناء اتجاه أحد النزلاء لغرفته مرورًا بغرفة 1207 شاهد سيدة مطعونة مُلقاة على الأرضية تطفو فوق نهرٍ من الدماء ، وعلى بعد مترين سقط رجل يصرخ فى هيستريا لعدة ثوانى ثم غاب عن الوعى ، تم استدعاء أمن الفندق الذى استدعى بدوره الشرطة وتم عمل اللازم .

أسفر الحادث عن دخول الزوج فى غيبوبة استمرت لثلاث أشهر كاملة حتى تعافى ، وبعد خروجه قدم طلبًا للسلطات المصرية باستلام جسد حبيبته لكنه قوبل بالرفض ، فقد تم تشريح الجثه من قبل المعمل الجنائى ودفنها فور انتهاء التحقيقات وقُيدت الجريمة ضد مجهول .

***

ظل أسامة على حد وصفه مذهولًا غارقًا فى وجومه يُحدق فى وجه اليكسى لما يقرب خمس عشرة دقيقة لا يجد ما يقوله حتى استطاع أخيرًا تحرير صوته المحبوس .

- أنا آسف على اللى حصل لحبيبتك ، بس يؤسفنى بردو أبلغك أنك فى النهاية مجرم ولازم تتعاقب على جرايمك اللى أنت ارتكبتها

بسخرية

- الأسف لا يعنى شيئًا يا صديقي هو مجرد حروف لا تعطي حتى جملة مفيدة ، أخبرنى بالله عليك هل فقدت عزيزًا لديك من قبل بهذه البشاعة ؟؟

لم يكن اليكسى يدرى أن من يقف أمامه فقد الأعز فعلاً ، بل فى الحقيقة كان له كل الآيادى فى قتله .

هنا صرخ بانفعال

- اليكسى أنت متهم بقتل 12 ضحية والأدلة كلها ضدك .
- أين تلك الأدلة يا غبي ؟

هنا نهض أسامة وهم أن يلكمه بوجهه لولا أن استوقفه دخول رجل آخر يطلب الحديث معه منفردًا .

***

خارج الغرفة بدأ الرجل حديثه .

- صدرت أوامر بالإفراج عن المتهم .
- إزاى ؟ ده مجرم ولازم ياخد جزاءه وهثبت ده بالأدلة

هز الرجل رأسه آسفاً

- مهما كانت الأدلة قوية مش هتثبت إدانته
- ليه ؟
- علشان فيه جريمة قتل جديدة حصلت من ساعة.

***

الساعة الواحدة بعد منتصف الليل ....

" اختر زيت مكابحك بعناية ولا تستخدم زيتًا يُفقد سيارتك صوابها "

بالعبارة السابقة ذُيل إعلان ترويجى عن نوع من أنواع زيوت الفرامل ، ثُبت أعلى طريق القاهرة الإسكندرية الصحراوى الكيلو 98 ، فى لغة الدعاية والإعلان يسمى سوسيت ، أحال ضوء السوسيت تلك البقعة إلى نهارًا جليًا ، مُضئ ويرتفع عن الأرض بما يقارب عشرين مترًا ، ترجلنا من السيارة لنقترب من الحشد المتجمع من السائقين الذين صفوا سياراتهم بجانب الطريق والتفّوا حول السياج الأمنى المشدود يصورون بهواتفهم ويراقبون محولقين

ومستغفرين كطبيعة المصريين المتدينة ، وكسلوكهم المتناقض ، سينتهى كل واحد فيهم من تمتماته وشفقته ويعود لسيارته ويستكمل سفره بسرعة قيادة لن تقل عن 180كم / س، دائمًا نرى أنفسنا فى منجى عن مصائب الآخرين وموتهم ، إلى أن نصطدم بالواقع ، أشعل سيجاره واقترب أكثر ليصعق عينه فلاش إحدى الكاميرات ، رمق حاملها بغضبٍ فابتعد ، كانت الرياح باردة وقوية ، تطيح بالملابس والشعور ، اقترب أحد الضباط مؤديًا التحية العسكرية ، لم يبادله بواحدة مماثلة ، يبدو أن كمية الإحباط الذى اجتاحته مؤخرًا جعلته أكثر كسلاً عن حتى معاملة الآخرين ، ناوله بطاقة الضحية ، طالعها أسامة بملل ثم أعادها له مرة أخرى ، خاض فى حديث جانبي مع ضابط آخر أعلى رتبة من الأول ، اقتربت من الجثة و التقط عدة صور ، لا جديد فى الأمر مشهد مكرر لسوابقه فلا داعى لذكر تفاصيل معادة ، عِدت أدراجى لسيارة أسامة اتقاءا للريح الباردة ، لفت نظرى على الجانب المعاكس من الطريق اقتراب سيارة توقفت ثم نزل قائدها ينظر عن يمينه ويساره قبل أن يعبر الطريق مهرولاً مُمسكا بيده هاتفًا كبير الحجم ، سمعته يستفسر عن المسئول فأشار أحد الضباط لأسامة ، اقترب منه الرجل يربت على كتفه ، دار حديث لبضع دقائق لم أتبينه ، يتكلم الرجل وهو يشرح شيئًا ما ، تنفعل ملامحه بقسمات متباينة ، يبدو أن الأمر يتعلق بالهاتف الذى يحمله فقد فرده الرجل على كفه نصب عيني أسامة ، وأرى الأخير ينقل بصره بين الرجل والهاتف .

انتزع أسامة الهاتف من حامله وعاد ليجلس داخل السيارة بجانبى ، سألته عن الأمر أفاد بأن هذا الرجل كان يصطحب عائلته منذ نصف ساعة متجهًا فى طريقه إلى الإسكندرية وكانت ابنته تعبث بالهاتف وهى تصور بالكاميرا ، ناولنى الهاتف لأشاهد ما سجلته ..

***

طفلة جميلة تمسك بالهاتف وترفعه أمام وجهها وهى تصور نفسها ، تضحك وتتفوه بكلمات غير مترابطة ويظهر من خلفها الطريق وهو يبتعد ثم شرعت فى الغناء (يا بنات يا بنات يا بنات ... اللى مخلفش بنات ...) ثم انتهى المقطع .

نظرت لأسامة

- مش فاهمة

تناول الهاتف ثم أعاد المشهد حتى الثانية العاشرة وضغط زر إيقاف المؤقت وناولنى إياه مرة أخرى ، استغرقت عدة ثوانى حتى أدركت الأمر ..

من خلف شعر الطفله يظهر مشهد لرجل يقف على جانب الطريق يُمسك خنجرًا بيده وساهم ضوء السوسيت في وضوح المشهد ، ضغط أسامة زر العرض البطيء ليتحرك المشهد متقطعًا ، فيظهر الطريق وهو يبتعد والرجل يحرك الخنجر ببطء نحو صدره

ثم ..

يغرزه ، وتبتعد السيارة أكثر وأكثر وبالطبع لم يلمح الأب ما حدث لانشغاله بالقيادة إلى أن توقف في الاستراحة وشاهد الفيديو المصور صدفة فدار بسيارته وعاد لمكان الحادث على فوره .

أمامنا صورة واضحة للقاتل الآن ..

قاتل لا يمكن لأحد أن يشك فيه أو يتهمه لأن القاتل ببساطة شديدة هو القتيل

***

سكين مزخرف محفور عليه جملة " حرر قيد الفراشة "

مقبض السكين مطلي بمادة تحول دون طبع البصمات

بصمة عرق الضحايا جميعهم تُشير لإفراز كمية ضخمة من العرق

أغلب الضحايا قتلوا فى أماكن عامة دون أى أثر لقاتلهم

***

نظر أسامة للوحة الإعلانات وقرأ بصوت مرتفع

- اختر زيت مكابحك بعناية ولا تستخدم زيتًا يفقد سيارتك صوابها

ثم هز رأسه وقد أضاءت عيناه وهو يردد

- فهمت ... أنا فهمت ... بس فيه حاجة واحدة لسه عايز أفهمها

بنظرة متسائلة رمقته فأجاب

- أيه هو الزيت اللى يخلى العربية تفقد صوابها ؟

ظننته يهذي إلى أن أدركت مقصده

***

قاتلنا لا يستخدم يده ، يستخدم شيئًا يُحفز على الانتحار طعنًا ، بالتأكيد الأقراص السوداء الغير مفهومة التركيبة أو المصدر ستُجيب عن تساؤلنا ، وزاد يقينى الآن أن اليكسي هو القاتل الحقيقى ، لكن كيف ؟

obeikan.com

كيف استطاع إقناع ضحاياه بتناولها ؟

لا يهم الآن معرفة الإجابة ، المهم الآن أنه بحلول الصباح سيتم الإفراج عنه دون قيد أو شرط.

هذا ما كان يشغل بال أسامة ، طالبته باطلاع القيادات على آخر التطورات لكنه أجابنى وهو يفكر

- بردو مش هتبقى مقنعة بالنسبة لهم أنا أكتر واحد عارف شغلهم بيمشي إزاي ، لازم دليل إدانة قوي

قلت

- طب والحل ؟

أجابنى .... وليته ما فعل

***

الساعة العاشرة صباحًا ..

شارع جامعة الدول بالمهندسين ..

توقفت سيارة ضخمة سوداء اللون والزجاج ، فتح بابها لينزل منها اليكسى وما إن أُغلق بابها مرة أخرى حتى انطلقت مسرعة ، عبرالشارع مُنهك القوى ، لم يلمح سيارة مندفعة تقودها سيدة وهى تقترب منه ، ضغطت المكابح بقوة لتتفادى الاصطدام لكنها تأخرت لجزء من الثانية وارتطم

اليكسى بمقدمة السيارة ليرتفع جسده فى الهواء ثم يستقر أرضًا أمام السيارة..

غادرت السيده سيارتها مسرعة وهى تلطم خديها فى رعب .

- أنا آسفة ، آسفة ، مخدتش بالى

انحنت لتطمئن على ضحيتها فانحصرت تنورتها عن فخذيها وبرزت ركبتيها تلمعان ، بينما طل صدرها فتوهج فى ضوء الشمس يُعمى الأبصار ، احتشد المارة حول الرجل فى محاولة إسعافة بينما اكتفى معظمهم بتقدير مقاس حمالة صدر السيدة ، صاح أحدهم فى غضبٍ مستنكرًا

- آدى آخرة سواقة الحريم ، حرام عليكى يا شيخة ، موتي الراجل !! طلعتى رخصة بكام يا ختى ؟

قالها ثم انحنى يحمل جسد اليكسى الذى غاب عن الوعى وفتح له صبي باب السيارة الخلفي ليضعه على الكنبة ويعود لغضبه صائحًا

- اتفضلى على أقرب مستشفى!!

ثم فتح الباب الأمامى وجلس على المقعد المجاور للسائق ، و بارتباك عادت لتجلس أمام عجلة القيادة وتنطلق بالسيارة ما إن ابتعدت عن التجمع نظرت برعب حقيقى إلى الرجل الجالس بجانبها وبصوت متحشرج

- أنا كان ممكن أقتله بجد يا أسامة

استدار أسامة ينظر إلى اليكسي وقد اعتلت ملامحه نظرة احتقار

- ما تخافيش الأشكال دى مابتموتش بسهولة .
- طب أطلع على فين دلوقتى ؟
- سوقي وأنا هقولك

***

الساعة الثالثة ظهرًا

فيلا تحت الإنشاء بالتجمع الخامس

يجلس اليكسى على كرسى خشبى مقيد اليدين والقدمين برباط طبي أبيض ، وجرح سطحى برأسه عكفت على تضميده ، فاستعاد وعيه متوجعًا وبعينين واهيتين أبصر أسامة يجلس على المقعد المقابل له ومن خلفة ثبت كاميرا على حاملها يبدو من لمبتها المضيئة أنها تسجل ما يدور ، حرك رأسه بجبهة منكمشة من تأثير الألم ليبصر حجرة خالية تمامًا موضوع فى أحد أركانها مواد بناء من رمل وجبس وأسمنت ، يبدو أنها فى مراحل التشطيب النهائى ، انتهيت من إسعافه ثم سحبت الكرسى الثالث بالغرفة وجلست فى ركنها منهكة وملامح الجزع تطل من قسماتى وكل ذرة من جسدى تئن ألماً

بدأ أسامة حديثه

- اتفضل عايز أسمعك

بضحكة منهكة ساخرة قال

- أريد ماءًا

نهض أسامة وغاب لدقيقة كاملة قبل أن يعود بزجاجة مياه معدنية لا أعلم من أين له إحضارها ، ناوله الزجاجة فلم يتمكن بالطبع من إلتقاطها بيديه المكبلتين ، فتح أسامة الزجاجة ورفعها دفعة واحدة على فمه دون حرص ليتجرعها كلها عن آخرها وينساب بعض الماء على صدره ، ألقى الزجاجة ثم عاد لمقعده ينتظر كلامه ، تدلى رأس اليكسى ثقلًا قبل أن يرفع عينيه صوب أسامة قائلاً

- ماذا تريد أن تسمع؟
- الحكاية كلها وطريقة تنفيذ جرايمك
- حتى لو اعترفت لن يعتبر هذا التسجيل قانونيًا

أشار أسامة للكاميرا

- قصدك على التسجيل ده ؟

ثم دفع الكاميرا بعزم قوته لتسقط على الأرض وقد تبعثرت أجزاؤها وتهشمت تمامًا مستطردًا

- وأنا مش محتاج أسجل الاعتراف

ثم عاد لهدوئه مرة أخرى وهو يُخرج من جيبه قُرصًا أسودًا - أحتفظ به منذ حادث انتحار جورج - ويضعه نصب عينيه

- الأقراص دى بتعمل أيه ؟

ضحك بسخرية ثم ازدرد ريقه

- فلتجربها بنفسك يا صديقى .... ستندهش

obeikan.com

نهض أسامة بغضب ثم كال له لكمه كادت أن تطيح به وتزحزح الكرسى إثر لطمة أخرى على وجهه لينفجر سيل دماء من فمه وهو يصرخ :

- لن يتركوك تنجو بفعلتك تلك.

هنا انتبه أسامة :

- ليك شركاء ؟
- وهل تتوقع أن أدبر كل ذلك بمفردى أيها الغبى ؟!

استدار أسامة موليًا له ظهره ورأيت بعينيه نظرة غضب شرسة قبل أن يستدير بسرعة رافعًا قدمه اليسرى ليطيح بوجه اليكسى ليسقط بكرسيه أرضًا على ظهره يصرخ ألمًا ، تورمت عيناه اليسرى إثر تجمع دموى أسفل جفنه ، انحنى أسامة ثم رفع الكرسى ؛ ليعيده لوضعه مرة أخرى

- مين أعوانك ؟

لم يجيب فأخرج أسامة مسدس وصوب تجاه ركبته و أطلق النار.

هنا لم أحتمل ما يحدث فنهضت ولكنه جمدني بنظرة ثاقبة فلم أتحرك واستجمعت النطق مرة أخرى :

- اللى بتعمله ده غلط يا أسامة ، إحنا نسلمه للمسئولين وهما يتصرفوا ويحاسبوه.

صرخ

- يحاسبوه !! يحاسبوه على أيه ؟ للأسف الكلب ده ايده نضيفة تمامًا، كان بيقتل بالريموت كنترول ، وحليني بقى على ما يثبتوا جرايمه

ثم استدار لأليكسى الذى بلغ حد الألم القاتل

- مين أعوانك ؟

سال الزبد من شدقيه وهو يجيب

- KGB.

جحظت عينا أسامة دهشة

- المخابرات الروسية ؟!!
- نعم ، أنا وبروين نعمل .. لدى .. المخابرات الروسية .. وكان لدى بروين معلومات هامة وخطيرة عن بلدكم ، مُخزنة على شريحة ذاكرة مدسوسة أسفل جلدها بمكان ما فى جسدها ، لكن القدر لم يمهلها الوقت الكافي لتسليمها .

هل تتخيل جهد أعوام من التدريب والعمل يضيع هباءًا فى لحظة ؟

والمخابرات الروسية هى من دبرت وسائل الانتقام كاملة ، صُنع خناجر من مادة لا تحمل البصمات وتطوير عقار الفينسايكليدين المثير للأعصاب ـ صرخ متأوها ثم استطرد ـ ليتحول إلى عقار يسمى (الممسوس) ، يجعل من يتناوله يعيش فى البداية حالة من النشوة الفائقة ، تتحول لانفعال حركي غير

مفهوم أو مبرر ، تُخرج الشيطان الكامن داخلك ، تعريك من مشاعر الخجل أو الحياء أو الخوف ، تُصبح شيطانًا بالمعنى الحرفي للكلمة :

لا قيود

لا خوف

لا تردد

تُحقق ما تراه أحلامًا ، لا شيء مستحيل مع ذلك القرص ، يمكنك من مضاجعة عشر نساء دون كللٍ أو تعب ، بتلك الأقراص تصير مشاكل حياتك وهمومك المؤرقة لمنامك هباءًا منثورًا ، تنتشي وكأنك لم تفعل من قبل ، ثم يبدأ مفعوله الحقيقي ، آلام رهيبة و....

هنا أطلق أسامة رصاصة على الركبة الثانية ليصرخ اليكسى صرخة مكتومة ، ما عاد لديه طاقة للصراخ ، أصبح رفاهية بالنسبة له ، سأله أسامة

- و الخناجر ؟

سقط رأس اليكسي فلطمه على خده لينتفض ويكرر سؤاله

- و الخناجر !!!؟

أجاب بكلمات واهنة متقطعة والدماء تتدفق من جسده

- الضحية المختارة التى تجرب تلك الأقراص وتنتشي من السهل إقناعها بأن مفعول الأقراص لا يعمل سوى باصطحاب ذلك الخنجر، وملامسته للجسد أثناء تناولها، وشرطًا آخر أن يكون وحيدًا ، أنت لم تر

عيون الضحايا البائسة وهي تلتمع عند رؤيته ، بالإضافة إلى أنه تذكار لايمكن رفضه ، وبالتالي وبمجرد أن يتحرر شيطانه ويستبد به الألم المبرح ، ولأن الطعن أسرع وسيلة للقتل ، فيقوم بإنهاء مأساته برشق خنجره في بطنه، ومهما بلغ حد ألم نصله الحاد بين أحشائه لن يصل لفتات عذابه الذي يشعر به ، عذاب لن يره حتى في جحيمه ، صدقني ياعزيزي تأثير الأقراص رهيب حقاً ، جربته لحظة فراغ على قط مسكين ، ورأيت الهول بعيني ، ومع اجتماع حالتي الوحدة مع الطعن يبدو الأمر لمن يراه جريمة قتل وليس انتحارًا ، كنت أمنح قرصًا واحدًا لكل حالة ، إلى أن جاء إليّ جورج يومًا وسرق علبة كاملة .

- وكنت هتوقف سلسلة القتل دي أمتى؟
- كانت الخطة تسير على مايرام ووفقًا لانتظار ساعة الصفر للإعلان عن أهدافنا ومطالبنا.
- وأمتى كانت ساعة الصفر؟
- للأسف لم تحن أبدًا ، كنا ننتظر أول تسريب لحوادث القتل تلك لكن واجهنا عائقين ... الأول هو التعتيم الإعلامي الذي تجيدونه في بلادكم بجدارة – تأوه ألمًا ثم استطرد – والثاني هو انتظار تزايد أعداد القتلى ليتحول الأمر لقضية رأي عام ويزيد الضغط الشعبي على المسئولين ووقتئذ تصبح عملية مقايضة جسد بروين بإيقاف سلسال الدم أمر سهل .
- فى ضحايا تانية معاها الأقراص دى ؟
- بالطبع يا صديقي ، وزعت منها على المئات ، لكن هناك من نجى وهناك من لقى حتفه وهناك من ينتظر
- أرقام الناس دى أيه أو عناوينهم ؟

ضحك و كأن الألم لم يعد يعني له شيئًا

- وهل أعمل فى سجل الأحوال الشخصية لأحمل بيناتهم؟

قالها ثم زاغت عينيه لثواني مندهشة كمن يبحث عن شيء ما

- أمر غريب !!

بعيون ملتمعة سأله أسامة :

- مالك ؟
- ماعدت أشعر بالألم رغم نزيف الدماء

نظر أسامة إلى زجاجة المياه الفارغة وهو يقول :

- واضح إن تأثير الأقراص بدأ يشتغل

بعيون ملتاعة نظر إليه اليكس

- هل ...؟؟ هل ناولتنى من تلك الأقراص ؟
- أكيد ،،،عندنا مثل بيقول طباخ السم بيدوقه .

وفجأه بدأت ملامح اليكسى فى التشنج وظل يهز رأسه يمينًا ويسارًا كالمخبول وهو يضحك ، جسده يرتعش بالكامل ، يسيل الزبد من فمه

يصرخ

- اقتلنى ، اقتلنى أتوسل اليك

ارتعش ثم صرخ وجسده كله يهتز ثم سمعت صوت طقطقة عظامة وهو يتشنج ويزيد من توسله ، أحمر وجهه تمامًا وحل الدم محل بياض عينيه ثم

obeikan.com

انفجرت فتحتي أنفه دمًا ونفرت عروقه زرقاء كشبكة إخطبوطية من كل جانب ، و أسامة يراقبه فى صمتٍ متشفي ، حتى سكن جسده تمامًا بعد أن أصفر بالكامل نتيجة النزف ، هنا رَكضْتُ أُغادر الغرفة ثم باب الفيلا وقفزت فى السيارة لأدهس دواسة الوقود بكامل غلّي و أنا أصرخ منهارة ولدي رغبة فقط فى الهروب ...

الهروب من الشيطان .

***

بعد ثلاثة أشهر

خبر بجريدة اليوم السابع بعنوان

(استشهاد ضابط أثناء تواجده بكمين على طريق الشيخ زويد)

استشهد المقدم / أسامة المصري صلاح الدين أثناء تواجده بأحد الأكمنة على طريق الشيخ زويد حيث قام ثلاثة رجال ملثمين بإطلاق النار على جميع أفراد الكمين ، وتم تفجيره عن آخره بقنابل ملوتوف ولم يتم العثور على الجناه حتى الآن ، وقد توجه السيد اللواء / .....

***

دارين ... دارين

استيقظت على ندائه لأجده يقف أمام الفراش ممسكًا بكوبٍ لبن دافئ ، قاومت النعاس وحاولت جاهدة فتح عيني ، تغلبت على خمولي فى النهاية ، اتكأت على ذراعي وتناولت الكوب وهو يقول :

- مش كفاية بقا قاعدة فى البيت لحد كدة ؟ هتخرجى من حالة الاكتئاب دى أمتى ؟ بقالك ثلاثة شهور ماروحتيش الشغل .

قلت:

- سيبنى براحتى أول ما هقدر أرجع هرجع
- طيب أنا نازل .

قالها ثم غادر ، أمسكت بهاتفي لأجده مغلق حيث فقد طاقة شحنه بالكامل ، أوصلته بسلك الشاحن ثم فتحته وما إن عادت له الحياة ، تلقيت تنبيهاً بورود ما يقرب من سبعين رسالة لم تقرأ بعد من إياد .

هاتفته وبمجرد أن أجاب سألته

- إياد أنت فين ؟ عايزة أقابلك

***

فى عيادة إياد كانت نظراته هائمة .. مشتاقة .. قلقة ، تحمل أسئلة خرساء ، تُقرأ ولا تُنطق بدأت كلامى :

- أنا عارفة كل اللى أنت عايز تقوله وعارفة أنك عايز تعرف كنت مختفية ليه التلات شهور اللى فاتت .

صمت لأزدرد ريقى ثم استطردت

- أنا جيت النهاردة علشان عايزة أعرف حاجة واحدة بس ... أسامة قالك إيه يوم جلسة العلاج تنازل عن أسئلته وقلقه وهيامه وبدأ فى قص ما دار فى تلك الجلسة .

***

كان الأمر الأكثر إثارة لتساؤلات إياد فيما يخص حالة أسامة ، هو كيف لإنسان مصاب بعلة نفسية كتلك ومازال يشغل منصب أمني خطير وحساس كهذا ، لكن الحقيقة هي أن أسامة كان ينفصل بواقعه الأليم حينما ينهمك في ممارسة عمله ، ينسى كينونته تمامًا ويصبح رجل أمني من الطراز الأول فقط ، لذلك لم يكن مرضه يسبب له المتاعب فما كان ليكتشفه أحدهم سوى من حاول التقرب له ومعايشة مأساته...

نجح إياد يومها فى تنشيط ذاكرة أسامة التفصيلية وإخضاع عقله الباطن للاعتراف بأحداث يوم وفاة أخيكِ ياعزيزتي ، ما حدث بعد غفوة والدكِ وسقوط علي ، أنه قام فزعًا من نومه على هدوء صارخ حوله ، عندما تنامى على صوت طفل تتولى مسئولية رعايته ثم تفيقي على هدوء وصمت فالأمر مفزع حقًا .

فقد يكون الهدوء ناجم عن نومه .. أو ناجم عن .. كارثة

ولم يكن هدوء أخيكِ نومًا

فزع أسامة يبحث عنه فى أرجاء الغرفة بالكامل ، أسفل الكراسى ، خلف التلفاز ، حتى داخل خزانة الملابس حيث كان يحب أن يلعب ، لم يجده

خرج إلى الردهة بحثًا عنه .. لم يجده

مشط الفيلا بالكامل .. لا أثر له

شيء طالبه بالخروج إلى الحديقة ، شيء أخبره بأن كارثة تنتظرة هنالك ... فاستجاب

وما إن فتح باب الفيلا حتى وجد ابنه ممددًا على قرميد المدخل غارقٌ فى دمه ، اعتصر قلبه كمدًا .. لطم خديه مرارًا وتكرارًا ، ولطم الرجال قيامة الأرض ،أغرورقت عيناه دمًا ، حمل طفله وركب سيارته وضغط دواسة البنزين ؛ لتطلق عجلاتها صراخًا عاليًا .

يحتضن ابنه بيسراه ويقود بالأخرى متجهًا للمستشفى ، جسده ينتفض ألمًا ورعبًا ، بعينين جاحظتين سجّل مشاهد ذلك اليوم لتطارده ما تبقى له من العمر ، وتخلد فى ذاكرته .

رأى رجل يجلس على مقعد انتظار الحافلة وبجانبه تجلس سيدة عجوز يحمل وجهها أخاديد وتجاعيد وما إن مرق بسيارته من أمامهما إلا ورآهما يلوحان بغضب لتهوره فى القيادة ، بعد فترة شاهد بانر ضخم لإعلان عن حفلة للمطرب عمرو دياب يقف يرتدى بنطال جينز رمادي وفانلة تحتية قطنية بيضاء اللون و اسم (عبدالله) موشوم على كتفه الأيسر ..

فى غمرة انفعاله لم يلحظ ذلك الكلب الذى يعبر الشارع أمامه فدهسه بسيارته ونظر إليه فى المرآه ليراه وقد انفصل رأسه عن جسده ، أكمل الطريق ولم يتوقف ، وصل المستشفى ليستقبله طاقم التمريض ويتسلمون الطفل الغارق فى دمه .

وبينما يقف خارج العناية المركزة وقد تلطخت ملابسه بالدماء ويكاد يتوقف قلبه خوفًا ورعبًا ، يرى سيدة عجوز تُقبل مسرعة تستفسر عن

زوجها المريض فتشير لها الممرضة بقسم الاستعلام لتسألهم ، يخبروها بأنه بغرفة العمليات لإجراء جراحة عاجلة ، ظلت تتحرك يمنة ويسرة فى تتابع ثابت و موزون بصوت خفيف مزعج ، انزلقت نظارتها لتسقط من على وجهها وتهرسها بقدميها فيلاحظ لأول مرة أنها ترتدي زوجي حذاء غير متطابقي اللون، من المؤكد أنها ارتدتهما على عجلة من أمرها .

قطع متابعته للسيدة خروج طبيب تبدو عليه ملامح الحزن وما إن اقترب منه حتى أخبره بأن

- إبنك تعيـ.....

وسقط مغشيًا عليه

***

هكذا كان أبوكِ وهكذا كانت حياته

أكملت ما بدأه لاستشعارى بأنها رسالة يجب أن تصل لأصحابها وسأسلمها لوالدتك وليغفر لها الخالق ما صنعت فذنبها أكبر وأعظم من ذنبه

ولا أخفيكِ سرًا

أحس بالارتياح لانتهائى من تدوينها والتخلص منها ، فشعوري بأن تلك الآجندة تحمل طاقة من الاكتئاب لا يفارقنى

حقًا لايفارقني ..

***

غفـوة

سـواء كانت غفوة اختيار أو غفوة قرار.

قد تكلفنا الكثير أحيانًا ، بل قد ندفع راحتنا وحياتنا ثمنًا لها .

أسـامة كان يرغب في صـنع حياته بيده ، حتى مرضـه كان نتيجـة رفـض لقدره .

هناك غفوة قد تُحيل حياتنا لجحيم يُصلينا نارًا ما تبقى لنا من العمر.

أعلـم أنهـا مُقـدرة ومكتوبـة ولا سـبيل لمنعهـا ولا نملـك سـوى أن نتحمـل عواقبها ومآلها بصبر ويقين بأن الندم لن يصلح ما أفسده الدهر ولا تجعلها تُنهي حياتك .. فهى حياة واحدة فقط .

وتأكد أن فى غفوتك سر سعادة القادم .

فلا تقتل نفسك .. وانطلق .

وتذكر أن فى قلب كل محنة .. منحة .

ليست كل البدايات سعيدة لكن أحرص على أن تكون النهايات كذلك فنحن نُلام على مآلنا فهو وليد قراراتنا .

ولا تكن كالعالق بين غفوة وندم .

الحياة لا تقف عند غفوة الأمس ولا تُعاش مع ندم اليوم

(تمت)

شُكْرٌ وَامْتِنانٌ

لـ مروة قطب

obeikan.com

obeikan.com

صدر للكاتب

- **ليتال – 2015**

للتواصل مع الكاتب

www.facebook.com/waelasheen

www.facebook.com/wael.lasheen.PAGE

waelmagdy@live.com

www.goodreads.com/author/show/14344314.Wael_Lasheen

obeikan.com

obeikan.com

obeikan.com

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للناشر

noon_publishing@yahoo.com
0235860372 - 01127772007

obeikan.com